الشعر السياسي في العراق الحديث

بقلـــم

حبيب علي الـــراوي

رسالة قدمت الى دائرة اللغة العربية في الجامعة
الاميركية للحصول على درجة "استاذ علـــوم"

بـــيروت
الجامعة الاميركيـــة
١٩٥٤/١١/٢٧

كلمـــة لا بد منها

لقد حاولت اقامة هذا البحث على اساس العناصر الفنية فيه ، فبدأت في تحليل الشعر السياسي في العراق الحديث الى "الحرية" و"الاصلاح الاجتماعي" و"نقد الحكومة" و"النفوذ الاجنبي" وخصصت فصلا لكل منها ، واخذت في الكتابة حتى اذا انتهيت وجدت كل عنصر يلتقي مع غيره في اكثر من موضع ، فالحديث عن الحرية يتصـل اتصالا وثيقا بنقد الحكومة وبالنفوذ الاجنبي ، وكذلك الحديث عـن الاصلاح الاجتماعي يتصل بغيره اتصالا قويا ، فظهر لي ان هـــذا العنصر يصعب تقسيمه الى عناصر متعددة وان خير وسيلة لدراسـة هذا الفن سلوك الطريقة التاريخية ، التي سرت عليها في هـــذا البحث ٠

وقد سافرت الى بغداد ، لغرض الحصول على القصائد التي نشرت في الفترة المذكورة ، ذلك ان معظم القصائد مبعثر في صفحات المجلات ، والكتب ، فلا بد للباحث من الرجوع اليها ، وقد اشرت في المقدمة الى الصعوبات الناجمة من وراء ذلك ٠ وقد بعث اليّ جماعة من الشعراء ـ بناء على طلبي ـ مختارات من قصدهم ، مخطوطا بايديهم ، فلهم الشكر على ما اضاعوه من وقت وعناء ٠

وقد تأخر تقديم الرسالة الى هذا الوقت ، لانني كنت عازما على تقديمها في شهر حزيران لان الاقدار شاءت ان تجرى لي عملية استئصال الكلية اليسرى في مستشفى الجامعة الاميركية ، وانني احمد الله علـى نجاحها على ايدى اولئك الاطباء الابرار ، فلما عادت صحتي الى الحالة الطبيعية ، استأنفت العمل من جديد ، حتى انتهيت منـه في شهـر تشرين الثاني ٠

ولا يسعني الا ان اتقدم بالشكر الجزيل الى استاذى الجليل الدكتور جبرائيل جبور الذى كتبت هذه الرسالة تحت اشرافه ، فقد كان مثالا للمرشد ومثالا للاستاذ ، وقد لقيت منه كل عطف وتعاون ، وكانت آراؤه السديدة وتوجيهاته القيمة خير عون لي على المضي في العمل ، وان كان ثمة نقص في هذه الرسالة فانني وحدى مسئول عنه ، واشكر اساتذة الدائرة العربية لما ابدوه من ملاحظات صائبة وتوجيهات قيمة. ولولا ان الحكومة العراقية وموءسسة (فلبرايت) الثقافية في بغداد ، قد اتاحتا لي الفرصة للدراسة في الجامعة الاميركية ، لما ظهرت هذه الرسالة الى حيز الوجود ، فلهما مني خالص الشكر .

حبيب الراوي

بيروت في ٢٧/ ١١/ ١٩٥٤

المقدمـــة

هذا بحث في الشعر السياسي وتطوّره في العراق ،منذ قيام الحكم الوطني حتى ممارسة الملك فيصل الثاني الحكم واستلامه السلطات الدستورية . وفي خلال هذه الفترة ،مرت بالعراق احداث سياسية كبرى من نوع لم يكن قد الفه منذ عدة قرون ،وكانت بداية تلك الاحداث تحرّره من الحكم العثماني ،فمنذ ان اكتسحت بغداد على ايدى المغول في القرن الثالث عشر ،لم يقم فيها حكم وطني ،وتناوب الحكم فيها اسر اعجمية في الاصل واللسان ، وكانت فترة الحكم العثماني ،اطول فترات الحكم الاجنبي ،وقد استطاعت هذه الدولة ان تركز سلطانها باسم الدين ،حتى اندحرت في الحرب العالمية الاولى ،وانتشر الوعي القومي ،الذى لم يكن قيام الحكم الوطني الا استجابة له .

وقد عالجنا هذا الفن لانه توسع واصاب من الانتشار والتجديد ما لم يصبه غيره من فنون الشعر الاخرى ، فبينما كان من قبل يطغى على الشعر العربي الغزل اذ يمهد الشعراء به لمدائحهم ووصفياتهم وحماستهم ، اليوم تنعكس الاية ،فيطغى الشعر السياسي والاجتماعي ،وتبرز فيه الناحية الوطنية ، ويتجه الى مقارعة النفوذ الاجنبي ،والتنديد بالحكومة ،والاهابة بها ان تقوم بواجباتها ، والتغنى بالمجد التليد والعز الغابر ،لاستثارة الهمم ،والدعوة الى الاخذ باسباب العلم والحضارة للنهوض بالامة ،ولا ينسى آمال الشعب وامانيه في مدائحه لرجال السياسة والحكم ،والواقع ان الموضوعات السياسية في الشعر العراقي الحديث تكوّن الجزء الاعظم من هذا التراث الفكرى . ولا شك ان الظروف التي مرّت بها البلاد ، وكفاحها من اجل الحرية والتقدم ،والوعي الفكرى ،ويقظة الروح القومية ، كل هذه ،كانت لها تأثيرات متباينة في خلق هذا الفن من الشعر .

واذا كانت الحياة الاجتماعية قد اصبحت ذات صلة وثقى بالاوضاع

السياسية ، نتيجة اتساع واجبات الدولة تحت تأثير الاتجاهات السياسية الحديثة ، لا سيما المذهب الديمقراطي الذى اخذ ينتشر بسرعة ، واصبحت الحكومات التي تقوم على نظم ديموقراطية ، تتدخل في كثير من الشؤون ، كالتعليم والصحة ، وايجاد العمل للعاطلين ، ومن هنا اصبحت الدولة مسؤولة عن كثير من الامور ، التي لم تكن في نطاق واجباتها بالامس ، فاخذ الشعراء يصلون هذه المشاكل الاجتماعية بوجود الدولة ، فينعون عليها تفريطها في مثل هذه المسائل ، ويطلبون اليها معالجة مثل هذه الاوضاع ، اما الشعر العربي القديم ، فلم يتناول هذه الموضوعات ، على ان لها جانبا سياسيا ، لذلك نرى الشعر طوال تلك المدة يعرض صورا من الشقاء الاجتماعي ، ولكنه لا يلتمس لها حلولا من جانب الحكومة ، وقلّما نجد شاعرا ينبه الحاكمين الى اصلاح تلك المشاكل آنذاك .

وليس الشعر السياسي حديث عهد بالادب العربي ، ففي الجاهلية كانت القبيلة تؤلف وحدة اشبه ما يكون بالدولة ، كان الشعر الذى يدافع عن امجادها ، ويرد على خصومها ، هو الشعر السياسي بالنسبة لها ، سواء كان ذلك متصلا بقبيلة اخرى او امة اخرى وفي بداية الاسلام وقف حسان يدافع عن النبي وكانت قصائده ذات طابع سياسي ، لان القبيلة لم تعد وحدة سياسية ، انما اصبحت الدولة القائمة على الدين هي تلك الوحدة ، ومن هنا وقف حسّان يقارع خصوم النبي ومنهم من ابناء جلدته وافراد قبيلته ، وحين نقرأ شعراء الخوارج والشيعة والفاطميين ، والامويين والعباسيين ، نلتمس فيها ذلك الشعر السياسي الذى يقوم على تأييد شخص معين ، او حزب ، او مذهب ديني ، الا انه لا يعتبر من الشعر السياسي ، المعبر عن اماني الامة وآلامها ، كما هي الحال في عصرنا الحاضر ، ولعلّ ذلك الشعر الحزين الذى تنبعث منه انات عميقة في شكوى الزمان وفساد المقاييس، وذم الحياة ،

كثير منه شعر سياسي مكبوت لم يهيأ له ان ينطلق الا بهذا الاسلوب .

وقد كان الموضوع شائكا لان كثيرا مما نظم في هذه الفترة لم يجمع ، بل ما زال متفرقا في بطون الصحف والمجلات ، بل ان بعضه لما ينشر بعد ، ومن العسير الان ان تجد مجموعات كاملة من الصحف التي نشرت هذا اللون من الشعر ، فلا اعلم ان هناك مؤسسة في العالم العربي عنيت بجمع الصحف وتنظيمها ، واذا كانت بعض المكتبات تحتوى على مجموعات من تلك الصحف ، فانها غير كاملة ، فقد تجد اعداد سنة معينة ، ولكنك تبحث عن اعداد السنة التالية ، او التي قبلها ، فلا تعثر عليها ، وحتى مجموعة السنة الواحدة كثيرا ما تجد بعض اعدادها مفقودة من بينها ، وذلك مما يعرقل الباحث ، لانه لا يستطيع ان يستوفى صورة كاملة للبحث الذى هو بصدده .

ومما يزيد في مشقة البحث عدم وجود فهارس ، وليست الجرائد وحدها لا تكتب فهارسها على الغلاف ، بل حتى بعض المجلات الاسبوعية او الشهرية لا تهتم بهذه الناحية ، اذ تهمل ذكر الموضوعات في مقدمتها او آخرها ، وقليل من تلك المجلات من تعنى بوضع فهارس سنوية باسماء الكتاب والموضوعات ، على غرار المجلات الغربية وبعض المجلات العربية ، لذلك فقد كنت مضطرا الى متابعة معظم تلك الجرائد والمجلات ، صفحة صفحة ، وهو امر يقتضى من الجهد والوقت ما لا يعلمه الا من كابد مشقة مثل هذا البحث .

وبالرغم من كل ذلك فهناك بعض القصائد ، والتي لا بد من اثباتها لمن يريد البحث في مثل هذا الموضوع ، والتي لم يتهيأ لها ان تنشر ، وقد اضطرني ذلك الى مراجعة عدد من الشعراء وقراءة ما لديهم ، وقد ارسل الى فريق منهم مختارات مما نظموه ، فكان ذلك عونا لي على مواصلة العمل .

والباحث في هذا الموضوع لا يأمن المزالق ، فما زلنا نعايش الفترة التي نتحدث عنها ، وانه لمن الصعوبة ان يقف الانسان بمعزل عن الاحداث التي تلعب دورها في تاريخ حياة الامة دون ان يقع تحت تأثيرات خاصة ، غير اني بذلت الجهد في ان انظر الى الموضوع نظرة مجردة محايدة ، بقدر ما تسمح به طبيعة مثل هذه الدراسة ومصادرها .

وقد اقتضبت ، بقدر ما لا يخل بوضوح البحث وصف الاحداث التي تعرض لها الشعر السياسي ، وسوف نرى ان كثيرا منها كان موضع اختلاف ، وما كان همنا ان نستقصي وجهات النظر تلك ، ونتعمق فيها ، بقدر ما نريد ان نتبينه من آثارها في الشعر السياسي ، اذ لا يفترض في الشاعر ان يكون مؤرخا ، لان الاول لا يؤخذ عليه ان يندفع وراء العاطفة والخيال ، مما يجب ان يبرأ منه الثاني ويتجنبه .

وقد اغفلت بعض الشعراء الذين لا ترى في قصائدهم مظهرا فنيا ، انما تجد كلمات مسطرة ، وابياتا قد تسير مع الوزن ، وقد تراها كسيحة ، وهي تحاكي اسلوب القرن الماضي في الشعر ، اما الشعر الشعبي فقد ساهم في الحقل السياسي ، لا سيما في الفترة الاولى ، وهي فترة الانتداب ، وكان خير من يمثله عبود الكرخي ، وقد اقتبست شيئا من قصائده .

ولم اهمل الادب الكردي ، الذي لم يقدر له من الذيوع والانتشار ما يستحق ، فاقتبست منه بعض النماذج ، التي تنعكس عليها بعض الاتجاهات الادبية ، وان كانت قليلة العدد .

لقد نُشرت عن تاريخ الشعر السياسي في العراق ، مقالات وموضوعات متفرقة ، في كتب او صحف او مجلات ، الا انها على الاجمال تتسم بطابع الايجاز والتعميم ، فلا تتناول تفاصيل الموضوع ،

وتحدد الادوار التي مرّ بها ، والخصائص الفنية التي ظهرت في كل دور من هذه الادوار ، وهي تنصب - في الغالب - على دراسة لبعض الشعراء ، ولكنني في هذا البحث حاولت بيان الادوار التي مرّ بها الشعر السياسي ، والتطورات التي طرأت عليه ، ومقدار تأثره بالاحداث السياسية التي انعكست فيه .

ولا بد لي من الاشارة الى العوامل التي اثرت في الشعر السياسي في العراق خلال هذه الفترة من حياة العراق ، فقد كان التيار الذى انطلق في العالم العربي عقب اعلان الدستور العثماني قد سار باستمرار حتى كانت الحرب العالمية الاولى ، يوم طافت في الاذهان فكرة التحرر من الحكم الدخيل ، وحين نكص الاتحاديون عن الوفاء بعهودهم ، ثم قام الحلفاء بالفعلة نفسها بعد الحرب العالمية الاولى ، فاخذ الشعراء يرسلون قصائدهم داعين الامة الى الاعتماد على النفس وعدم الركون الى الحكم الدخيل .

وقد اثرت الاحزاب السياسية في ازدهار الشعر السياسي ، فالحفلات التي كانت تقام في المناسبات الوطنية ، كثير ما عمدت تلك الاحزاب فيها الى دعوة الخطباء والشعراء للمساهمة فيها ولو اردنا ان نستقصي القصائد التي القيت في مثل هذه المناسبات لاستطعنا ان نتوصل الى عدد كبير منها ، والشعر اكثر اثارة للرأى العام وتوجيها للجماهير من الكلام المنثور ، مما شجع الشعراء على تقديم انتاجهم في مثل هذه المناسبات بوفرة .

اما الصحف ، فقد لعبت دورا هاما في نهضة الشعر السياسي ، ولكن كان بعض هذه الصحف قد اختص بالامور الادبية ، وبعضها الاخر قد اختص بالمسائل السياسية ، فانها كانت مرسحا للتيارات الاجتماعية ، وهذه اصبحت ذات صلة وثقى بالاوضاع السياسية ، ومن هنا كان الشعر

الذى يدور حول تلك القضايا — غالبا ما يمس الامور السياسية ، وقد اتخذ الشعراء من تلك الصحف منابر لاشعارهم ، وكانهم استعاضوا بها عن اسواق الشعر في العضر الجاهلي .

وكان انتشار الوعي بين الاجيال الطالعة ، وازدياد عدد المثقفين الذين يقرءون ما يكتب في الصحف ، ويتأثرون بالتيارات التي قد يتعرّض لها البلد ، مما ادّى الى تجاوب روحي بين هؤلاء وبين الشعراء ، فقد اصبح الشاعر ، على رأى الكثيرين ، هو المعبر عن آمال الامة وآلامها ، وانك لتقرأ قصائد الشعراء في العهد العثماني فتحسّ انها صوت الرأى العام ، الذى يجيش في القلوب ، ويضطرم في النفوس .

وقد جعلنا التقسيم الزمني للشعر السياسي كما يلي :

١ — فترة الانتداب : وقد بدأت سنة ١٩٢٠ ، وفيها تشكلت اول حكومة وطنية برآسة السيد عبد الرحمن النقيب ، وقامت هذه الوزارة بتهدئة الاوضاع الداخلية ، واقرّت عددا من النظم ، ونادت بالملك فيصل الاول ملكا على العراق .

وفي هذه الفترة عقدت سلسلة من المعاهدات بين العراق وبريطانيا ، وانتخب المجلس التأسيسي وهو اول برلمان عراقي سنة ١٩٢٤ ، وكانت خاتمة هذه المرحلة يوم انتخب العراق لعضوية عصبة الامم في جنيف سنة ١٩٣٢ .

٢ — بداية مرحلة الاستقلال : بدأت بدخول العراق عصبة الامم ، والاعتراف باستقلاله استقلالا تاما ، واذا كانت قد حدثت في هذه الفترة حوادث داخلية متعددة ، فقد استطاعت البلاد ان تخطو خلالها بعض الخطوات نحو الامام .

٣ — الحرب العالمية الثانية : لئن اتخذ العراق منها بادىء الامر موقف الحياد فسرعان ، ما ظهرت عوامل ادت به الى ان يصطدم بحليفته بريطانيا ، ولكن ذلك الاصطدام سرعان ما انقضى ، وعادت الامور

الى مجاريها ، ووقف العراق مع بريطانيا ضد المحور حتى نهاية الحرب .

٤ ـ مرحلة بعد الحرب : وفيها وقعت حوادث داخلية متعددة ، كما انعكست آثار كارثة فلسطين في حياة العراق ، فاحدثت آثارا بليغة في الحياة السياسية والفكرية والاجتماعية .

وانني اذ اقدم هذا البحث باعتباره محاولة اولى ، ارجو ان تمهد الطريق لمحاولات اخرى ، لدراسة كل فن من الفنون الادبية ، في كل قطر من اقطار العالم العربي ، فان ذلك مما يعين الباحث ان يسلك الطريقة العلمية ، ويجنبه كثيرا من مواضع الزلل ، فالحقيقة التي لا نستطيع انكارها اليوم ، ان العالم العربي ، يتألف من اجزاء مترامية الاطراف ، يقع كل منها تحت تأثير عوامل سياسية واجتماعية وطبيعية متعددة . وهذه كلها تعكس تأثيرات متباينة في الحياة الفكرية بصورة عامة ، والشعر على الاخص ، لانه اكثر من غيره اتصالا بالبيئة وتجاوبا مع الاحداث ، وتأثرا بالظروف التي تحيط به ، ومن هنا انبعثت الدعوة بان تكون الدراسة الادبية مبنية على اقليمية الادب ، والى هذا الاتجاه قصدت .

الفصل الاول

فــترة الانتداب

١٩٢٠ ــ ١٩٣٢

كانت الثورة العراقية خاتمة عهد الاحتلال البريطاني ،فقد رأت بريطانيا نفسها مضطرة ان تتخلى عن سياستها التي سارت عليها في العراق ،فاعلنت الانتداب محل الاحتلال ،فكان ذلك هو الخطــوة الاولى نحو قيام الحكم الوطني ،تحت اشراف بريطانيا ،وكانت هذه الفترة مليئة بالاحداث السياسية الجسام ،التي تركت اثرا واضحا في مستقبل العراق ٠

وفي مقدمة تلك الاحداث قيام الحكم الوطني ،وتبوء الملك فيصل الاول عرش العراق ،الذى تم انتخابه بنسبة عالية من السكــان ، بالرغم من ان بعض الالوية امتنعت عن التصويت ،وبالرغم من المعارضة التي ابداها بعض الطامحين في العرش ومؤيديهم ،وقد مهّد لهذا الانتخاب بدعاية واسعة النطاق كما سنرى ،ومن ثم فان قدوم فيصل الى العراق كان مبنيا على ثقته بانه سينال ثقة الشعب ،الذى كـــان يتطلع الى عاهل عربي ،وثقة الحكومة وبريطانيا معا ٠

وكان " المجلس التأسيسي " اول دورة للبرلمان في تاريخ العراق ،وقد اثار عاصفة من الحماسة في نفوس الناس الذين وقفــوا بين مؤيد ومعارض ،فالاولون يرون فيه الدعامة الاولى من دعائــم الاستقلال والنظام الديموقراطي في الحكم ،اما الاخرون فقد رأوا انه سيتخذ وسيلة لابرام المعاهدات ،وتقييد البلاد بالنفوذ الاجنبي ،وسوف نفصل القول في هذه القضية ٠

ولم تقم العلاقات بين بريطانيا والعراق على اساس ثابت ، فالمعاهدة التي ابرمت بين الفريقين سنة ١٩٢٢ ، سرعان ما نالها التغيير والتعديل ، ففي فترة لا تتجاوز الثماني سنوات ، عدّلت المعاهدة للمرة الرابعة ، وهذه المعاهدات كلها ، هي التي حدّدت العلاقات بين العراق وحليفته ، وقد رأى اكثر الوطنيين في تلك العلاقات رمزا للعبودية والاستكانة للحكم البريطاني ، مما سنعرض له في هذا الفصل من البحث .

١ – فيصل الاول

في يوم ٢٣ آب سنة ١٩٢١ توّج فيصل بن الحسين ملكا على العراق ، وتم التمهيد لذلك باقامة الحكومة الموقتة تحت رئاسة السيد عبد الرحمن النقيب ، فاحس الناس ان مستقبلا زاهرا ينتظرهم ، واخذوا يتطلعون متفائلين نحو عهدهم الجديد الذى يستقبلونه ، وقد عرض الزهاوى في قصيدته "الترحيب بعبد الرحمن النقيب" (١) صورة لتلك الامال التي تساور النفوس ، وكتبت صحيفة قائلة :

"في فجر اليوم هتفت ارواح الاجداد من منازلها الخالدة هتاف الفوز والنصر بعد ان صمت نحو سبعة قرون صوت الحزن والكآبة . سبعة قرون مرّت على ابناء عدنان لم يذوقوا فيها طعم الملوكية ... نحن اليوم لا نبتهج وننشد اناشيد الظفر لان ملكا جلس على اريكته وحسب ، بل لان نفوسنا حييت بعد مواتها وآمالنا تحققت بعد ان حوّطها اليأس احاطة السوار بالمعصم ." (١) وفي مثل هذه المعنى كتبت

---

(١) جريدة العراق ، ١٩٢١ / ٣٨٧ .

جريدة دجلة في افتتاحيتها تحت عنوان "تهنئة وذكرى"[١] ذلك ان بغداد عادت مرة اخرى عاصمة الملك واخذت نهج سياسة عربية ، بعد ان كانت سياستها موجهة من قبل الحاكمين فيها .

وقد تضافرت عوامل عدة على تمهيد السبيل امام فيصل ان يكون ملكا منها اتصاله مع الرسول بوشيجة النسب ،ولسنا في حاجة الى اعادة القول في مسألة الخلافة والامامة واتصال الحكم بالنسب القرشي طوال العهد الاسلامي ،ومن العوامل الاخرى مساندة بريطانيا له ،[٢] ثم انسياب الوعي القومي الى الشعوب الشرقية ،وتسرب الافكار السياسية الحديثة الى هاتيك الشعوب ، فكان من نتائج الانطلاق الفكري تشوق العرب الى الحكم الذاتي .[٣]

---

(١) جريدة دجلة ٥/١٩٢١

(٢) انظر الفصل السابع عشر من كتاب Ireland .

(٣) اشترك فيصل سنة ١٩١١ في حملة جردت لاخماد ثورة قام بها عرب عسير ،وفي ١٩١٣ قاد حملة ثانية على الادريسي الثائر ثم انتخب مبعوثا عن جدة في المجلس النيابي العثماني ،وفي سنة ١٩١٥ ارسله ابوه مندوبا عنه الى السفاح (جمال باشا) بشأن فريق من المجاهدين العرب ، فبيّت له الغدر، وحين احسّ بذلك استطاع الهرب والنجاة ،وفي سنة ١٩١٦ عين قائدا للجيش الشمالي في الثورة التي انبعثت ضد العثمانيين وفي ٦ تموز سنة ١٩١٧ استولى على العقبة وصار بعد ذلك القائد العام لجيوش الجنرال اللنبي ،وفي ا ت١ سنة ١٩١٨ دخل الشام ظافرا وفي ٢٢ ت٢ سنة ١٩١٨ سافرالى باريس ليمثل العرب في مؤتمرفرساي وفي ١٢ ايلول سنة ١٩١٩ سافر الى لندن للمفاوضة مع الانجليز، وفي سنة ١٩٢٠ نادى به المؤتمر السوري العام ملكا دستوريا على سوريا ،وفي السنة نفسها خاض معركة ميسلون ضد فرنسا ، ثم غادرها اثر انتصار الفرنسيين وسقوط الحكومة العربية ،وفي سنة ١٩٢١ تبوأ عرش العراق . (انظر كتاب : فيصل الاول للريحاني ص ٢٢٣ ـ ٢٢٥)

وفي الوقت الذى اتجهت فيه الانظار الى قيام حكم عربي مستقل ، كان الناس يتساءلون عمن سيكون على دست الحكم [١] لان عددا من المتنافسين كانوا يبذلون قصاراهم للوصول الى العرش ، وكان من ابرزهم منافس تتصل دعواه السياسية بالنسب الديني ، وبأنه واحد من ابناء العراق ، ذلك هو السيد طالب باشا النقيب [٢] الذى اخذ ينشر الدعوة الى انتخابه ملكا على عرش العراق ، ففي قصيدة عنوانها "الدر النضيد في خصال العميد" [٣] يخاطبه الشاعر قائلا :

مما لك الاسلام فيك اغتدت	واثقة ان حماها يصان
فاسلم لها حصنا وقف دونها	كموقف الليث الشديد الجنان

ومن قصيدة عنوانها "الى طالب" للشاعر خيرى الهنداوى :

اطالب ان لم تطلب الحق بالقنا	سيبقى برغم المجد وهو مضيّع
تطالبني نفسي بزورة طالب	فاعزم لكن الحوادث تمنع [٤]

وفي "كتاب مفتوح الى صاحب الدولة الى العميد طالب باشا والى رجال الامة العراقية وزعمائها" [٥] دعوة لتسليم مقاليد الحكم

---

(١) كان هنالك عدد من المتنافسين من بينهم السيد طالب النقيب وابن سعود ووالي المحمرة ، ووالي "بشت كوه" ، واغا خان والامير التركي برهان الدين ، والامير عبد الله (راجع الفصل السابع عشر من Ireland)

(٢) عين وزيرا للداخلية في الحكومة الموقتة .

(٣) جريدة الشرق ١٩٢٠/٧

(٤) الادب العصرى ١/ ١٧٠

(٥) جريدة الشرق ١٩٢٠/٧

الى المرشح المذكور .

وفي الوقت نفسه كانت الدعوة الى تأييد فيصل آخذة طريقها ، سواء كان ذلك بين الشعب ام في جهاز الحكم ،ومن امثلة ذلك ان النقيب رئيس الوزارة الموقتة ،كان احد المعارضين فلم يلبث تحت تأثير هـذه الدعاية ،حتى تخلّى عن موقفه ،واصبح واحدا من الموءيدين ،وقد لعب الضباط الذين اشتركوا في الثورة العربية في الحجاز ،دورا كبيرا في الدعاية لفيصل ،لانهم لـمسوا فيه كثيرا من المزايا والصفات التي توءهله للاضطلاع باعباء الحكم ، كما قام عدد من الشعراء يوءيد هـذه الدعوة ،وحين تقرأ قصيدة عنوانها "الزواج المستعار"[١] ترى فيها تعريضا بمن ينافسون فيصلا ،وتحدياً لهم بان تسنم العرش لا يكون الا برضاء الشعب :

قل لمن يخطب ليلى	لزواج يزدريها
هل يصحّ العقد شرعا	دون ارضاء ذويها

وقد لعبت الصحافة دورا هاما في الدعوة لفيصل ،وتفنيد حجج مناوئيه ،وكان من ابرز الصحف التي سارت في هذا الاتجاه جريدة "الشرق" و"العراق" و"لسان العرب" و"الاوقات العراقية" البصرية ، و"الموصل" و"دجلة" وعدد اخر من الصحف التي اتخذت طريقا معتدلا في دعوتها .

وقد كتبت جريدة دجلة وصفا لحفلة اقامها السيد عبد الرحمن النقيب ،للامير فيصل ،بعد ان كان من المعارضين له فقالت : "ادب ليلة الجمعة الماضية سماحة نقيب اشراف بغداد ورئيس الحكومة الموقتة في العراق مأدبة فاخرة احتفاء بسمو الامير فيصل ،وقد القى

---

(١) ديوان ذكرى استقلال العراق ٨٧/٨ .

فيها حضرة الشاعر الكبير معروف افندى الرصافى خطبة بليغة ضمنها هذه الابيات.(١)

ماذا يريد المرجفـــون	بكل بهتان وزور
من بعد ما بدت المنى	للقوم باسمة الثغور
في دار مولانا النقيـب	لوجه مولا نا الامير
مد النقيب الى الامـير	يد المعاضد والنصير
فليخز كـل مشاغـــب	في القوم يلهج بالشرور
وليحيى مولانا النقيب	حياة مولانا الامـير (٢)

مع العلم ان الرصافى كان احد المناوئين لفيصل ،لانه من انصار النقيب ، ولندع الرصافى يتكلم عن نفسه "... ولما وصلت الـى بغداد وواجهت النقيب عبد الرحمن افندى علمت بعد ذلك انهـــم يريدون معارضة فيصل باعتبار "العراق للعراقيين" ثم اجتمعنا عنـــد النقيب مع السيد طالب وانا كنت من جملة المؤيدين لهذه الفكرة ... ولما نفى طالب باشا النقيب علمت انه لم يبق لي شأن في هــــذا الموضوع ". (٢)

وحين اصبحت الظروف مواتية لفيصل ،اخذت الامال تداعب خواطر الكثيرين في تأسيس المملكة الجديدة ، التي ستأخذ على عاتقها مهمة الاصلاح ،والعمل على بعث المجد القديم ، ودفع الاخطار المحدقة بالوطن ،وانك اذ تقرأ قصيدة "تأسيس المملكة" (٣) للشاعر مهدى البصير

---

(١) جريدة دجلة ١٩٢١/١٤ وانظر ديوان الرصافى ص ٢٨٧ .

(٢) مجلة "الثقافة الجديدة" عدد ١٩٥٤/١ ص ٢٢ .

(٣) ديوان الشذرات ص ١١ .

تراه يدعو الى التعاون والتآزر في سبيل اقامة الحكم الجديد ، ويطلب ان يكون الاصلاح والتهذيب هدف هذا الحكم :

يا قوم حفت بنا الاخطار محدقة ... وفي التآزر عنا يدفع الخطر
ليصدق السعي في تأسيس مملكة ... تروج في سوقها الافكار والصور
ليطرق الشعب اصلاح يهذبه ... لا يرتقي الشرق حتى تصقل الفكر

ثم يوجّه الشاعر نداءه الى الصحافة مهيبا بها ان تقوم بواجبها فتنهج نهجا قويما لا انحراف فيه ، وتؤدى رسالتها في تنوير الحياة الفكرية ، وتوجيهها وجهة صحيحة :

لتستقيم خطط الاقلام ان رسمت ... لا يرتقي الشرق حتى تصقل الفكر
فللصحافة من اقلام ساستها ... سيل باودية الاذهان ينحدر

وفي قصيدة عنوانها "مقر التاج"(1) للشاعر نفسه ، يدعو فيها بغداد الى استعادة مجدها القديم يوم كانت حاضرة بني العباس ، ومقرّ الملك والخلافة :

هبي الى المجد يا بغداد ناهضة ... وليتبع خطط الاباء ابناك
عودى بتاج بني العباس منتظما ... فلا مقرّ لذاك التاج الآك

ومثل هذه المعاني نلتمسها في قصيدة "يعيد التاريخ نفسه"(2) للشاعر ابي المحاسن:

يايها الوطن العزيز لك الهنا ... قد نلت اشرف بغية ومراد
سيعيد تاريخ العلى لك نفسه ... ويعود مجد رجالك الامجاد
آساد غاب ليس ينكر بأسهم ... وبنوك نسل اولئك الاساد

---

(١) الشذرات ص ٧ .

(٢) الادب العصرى ٢/ ١٣٤ .

وبالرغم مما نظمه الشعراء من قصائد معدودات ،الا ان الناس كانوا يتطلعون الى توجيه للرأى العام ،من قبل اولئك الشعراء الذين لفت عليهم جريدة العراق سكوتهم قائلة : " مما لفت نظرنا سكوت شعرائنا الافاضل في هذه الايام ،فلا فلسفية للزهاوى ، ولا وصفية للرصافي ،ولا حكمية للشبيبي ولا حماسية للهنداوى ،ولا غمزات للدجيلي ...افي مثل هذه الظروف التاريخية تخلدون الى السكوت ايها الشعراء ..." (١)

ولكن هذا السكوت لم يدم طويلا ،فحين تأكد الناس بان تأسيس المملكة اصبح في حكم الامر الواقع ، وان فيصلا هو الذى سوف يتبوأ العرش طفق الشعراء يباركون العهد الجديد ،ويحيون العاهل العربي .

ففي سلسلة من المآدب التي اقيمت على شرف فيصل كان الزهاوى والهاشمي والبناء والازرى وغيرهم من الشعراء ،قد نظموا القصائد ترحيبا بالعهد الجديد(٢) كما ان الاحتفالات في المناطق المختلفة كانت بواعث للشعر في تمجيد الملك العربي ،ولم تأل الصحافة جهدا في توشيح صفحاتها بما تنفثه قرائح الشعراء بهذه المناسبة ، وما كانت تلك الافراح التي اعلنها الناس في حفلاتهم او خطبهم او قصائدهم احتفاء بفيصل ، بقدر ما هي استبشار بعهد جديد ، يعود فيه السلطان العربي ، بعد ان ظل نحوا من سبعة قرون تتعاوره الايدى الاجنبية .

---

(١) جريدة العراق ٣٩٨ / ١٩٢١ .

(٢) انظر ما كتبته جريدة دجلة في عددها ٧ / ١٩٢١ تحت عنوان "في مأدبة البلدية" و"الشعراء المرحبون" .

ففي قصيدة عنوانها "بشرى"(١) للشاعر عيسى عبد القادر ، يرى ان قيام الحكم الجديد، عودة لعهد هرون الرشيد ، وعصره الزاهر :

هارون نم في راحة ... فبنوك لما يخنعوا
قد شيد لاستقلالهم ... اسّ فلا يتزعزع
وعلا ربوع عراقهم ... علم لذاك مربع
اذ قد اقيم (لفيصل) ... عرش العراق الارفع
واليه قدّم تاجه ... والكل صار يرجع
مر يا مليك فاننا ... لك من بنانك اطوع
انت المليك الامر النا ... هي ونحن الخضع

وكان الزهاوي من اكثر الشعراء استبشارا بالعهد الجديد ،ففي قصيدة عنوانها "ايها الملك" يخاطبه الشاعر قائلا :

انا محبوك فاسلم ايها الملك ... ومصطفوك لعرش شاءه الفلك
عرش العراق ضمان للعراق وفي ... تأييده الشعب والاحلاف تشترك
ما ان اقامك اهلا في تبوئه ... الا الاصالة في الاراء والحنك

لله يا فيصل ما انت مورثه ... للعرب من شرف في شكره اشتركوا
وجدت افكارك اللائي قد اتسعت ... مثل السماء التي في وجهها حبك
في نهضة برجال كنت ترأسهم ... حينا لتحرير اوطان بها انسبكوا(٢)

ومن الصعوبة ان نحيط بكل ما نظم في الترحيب بفيصل الاول لكثرته ولكننا نشير الى بعض الصحف التي كانت تنشره ومنها "العراق"

---

(١) جريدة العراق ٣٨٢ / ١٩٢١ .

(٢) الادب العصرى ١/ ٤١ .

و "الاستقلال" و "دجلة" و "المفيد" و "الشرق"، كما نلتمس مثل هذه القصائد في ديوان "الزهاوى" و "الشذرات" للبصير ومجموعة "الادب العصرى في العراق العربي" وديوان "ذكرى استقلال العراق" للبناء.

اما الاساليب التي درج عليها الشعراء في مدح الملك، فلم تخرج عما سلكه الاقدمون، في كثير من الاحيان، من ذكر للحمى، واظهار للشوق والصبابة، وبكاء على ايام الصبا، ثم التخلص من كل ذلك الى الغرض الاصيل الذى نظمت من اجله القصيدة، ومن امثلة ذلك:

ما مرّ بي ذكر الحمى والاربع   الا وفاضت بالصبابة ادمعي
شط النوى فغدوت من الم الجوى   ذا مقلة عبرى وقلب مولع
روحي الفداء لجيرة ودعتهم   واحسرة لمودّع ومودّع
...   ...
فعلمت ان قد بان كوكب فيصل   ملك العراق بن الامام الا نزع(١)

وقام فريق من الشعراء يستخدم "التاريخ الشعرى" الذى شاع في الشعر العربي خلال العهد العثماني بكثرة، ومن امثلة ما قيل ترحيبا بفيصل:

زرت العراق فيا اهلا بزائره   حيث الحضارة تعلو في مراقبها
اعظم بها زورة جئنا نوءرخها   شرّفت يا فيصلا قطر العراق بها(٢)

وهناك بضع مقطوعات وقصائد من هذا القبيل، فلم نر حاجة لاثباتها لانها لا تنطوى على براعة فنية في الشعر.

وقد اخذ الشعراء يستلهمون التاريخ العربي، وما منه من امجاد قام بها اسلاف الملك، وحاجة الوطن اليه للنهوض والسير نحو

---

(١) جريدة العراق ٣٨٩/١٩٢١.

(٢) جريدة دجلة ١٢/١٩٢١.

الامام ،ومن امثلة ذلك :

الحامل العبء الثقيـــل ... وابن البتولة والـرسول
نسل اليها ليل العظام ... العز ذو المجـد الاتيـل
هو من ارومة هاشم العلـــــياء ذو الشرف الاصيـــل
شبل الحسين السيد الضرغـــام والاسد المديـــل [١]

وما علينا الا ان نقرأ القصائد التالية " ليحيى العلم مجدده "[٢] و"ايها الملك "[٣] و"يعيد التاريخ نفسه "[٤] و"ايها العلم "[٥] و"تحية العلـم العربي "[٦] و"العرب الكرام " [٧] لنلمس الترحيب والحفاوة اللتين قوبل بهما ترشيح فيصل ملكا للعراق .

وبالاجمال فان الناحية الفنية في الشعر العراقي ،خلال هذه الفترة لم تظهر عليها اثار واضحة للتيارات الجديدة ،وقد وصفها الريحاني بقوله "ليس في العالم العربي اليوم لغة للشعر جديدة باجمعها بمباينها ومعانيها ،باساليبها وفنونها ،باغراضها ومصادر وحيها ... "[٨] والشعر العربي لم يتحرّر تحررا كاملا ،وان كانت هنالك اثار للتحرر والتطور ، تبدو في الشعر الحماسي الوطني ،الذى طغى على سائر الفنون الاخـرى

---

(١) جريدة العراق ٣٨٧/١٩٢١ .
(٢) الادب العصرى ٢/ ١٠٢ .
(٣) الادب العصرى ١/ ٤١
(٤) الادب العصرى ٢/ ١٣٤
(٥) الادب العصرى ١/ ٣٦
(٦) ديوان الزهاوى ١٦٥
(٧) الادب العصرى ٢/ ١٣٤
(٨) الريحاني : قلب العراق ٢٤٩

للشعر ، وهو اذ يتناول موضوعات جديدة ، فانه لم يستطع الا ان يتناولها بالاساليب التي سلكها الشعراء من قبل ، على ان هذا الشعر يرتفع احيانا ويهبط اخرى على قدرما اوتي الشاعر من موهبة فنية ، ومقدرة على الابداع ، ومشاركة الامة في آمالها والامها ، تبعث في هذا اللون من الشعر حياة وقدرة على اثارة المشاعر والاحاسيس . اما التجديد في المعاني ، فقد اعتمد على الاتجاهات الجديدة في المذاهب الفكرية والسياسية من دعوة للحرية والاصلاح الاجتماعي ونيل الاستقلال التام ، والاخذ باسباب العلم والحضارة ، وتقوية بناء المملكة ، ونبذ دواعي التفرقة والقطيعة بين ابناء الوطن الواحد ، واستعادة لذكريات المجد القديم ، والاتجاه الى الرابطة القومية ، بعد ان كانت الدعوة الى الرابطة الدينية في العهد العثماني ، والتحذير من مكايد المستعمرين واساليبهم في المكر والخديعة ، وتلبية مطالب الشعب برضوخ الحكومة لارادته ، والتنديد لسياسة الحاكمين حينا ، والمستعمرين حينا اخر ، وتحرير المرأة وطلب مشاركتها في الحياة العامة ، والدعوة الى القوّة في استعادة الحق السليب ونيل الاستقلال الناجز .

٢ ــ البرلمان

شهد العراق الحياة البرلمانية سنة ١٩٢٤ ، للمرة الاولى ، حين افتتحت دورته الاولى التي اطلق عليها اسم "المجلس التأسيسي" ، وقد اطلق هذا الاسم على هذه الدورة من المجلس ، لانه اخذ على عاتقه القيام بوضع الدستور الذي يقرّر نظام الحكم ، ويرسم للدولة اسمها الجديدة ، وكانت لائحة المعاهدة العراقية البريطانية من اولى اللوائح التي عرضت عليه .

اما قبل قيام الحكم الوطني ، فلم يكن ثمة برلمان في العراق ، ففي مرحلة الاحتلال البريطاني ، كانت الادارة بيد الانجليز ، الذين لم يشاءوا تطبيق النظام البرلماني الذى هو الدعامة الاولى من دعائم الحكم الديموقراطي بل فضّلوا الادارة العسكرية في مرحلة الحرب وما بعدها .

وفي عهد الحكم العثماني ، كان قد تألف مجلس نيابي في دار الخلافة هو "مجلس المبعوثان" وكان العراق آنذاك ، يعتبر جزءا من الامبراطورية ، لذلك فان فريقا من العراقيين قد ساهموا في البرلمان العثماني ، من بينهم الشاعران العراقيان معروف الرصافي وجميل صدقي الزهاوى [1] ولكننا لم نسمع في قصائدهما شيئاً عن ذلك البرلمان ، وربما كانت القصائد التي نظمها الشاعران في التنديد بالسلطان عبد الحميد الذى خلع عن العرش ، وعن استبداد رجال الحكم آنذاك ، ربما كانت تلك القصائد صدى للحياة البرلمانية ، وما فيها من حرّية للنقد ، ومن العوامل التي ساعدت على تلك الحرية وضع الدستور الذى انبثق عن التيارات الفكرية الجديدة ، وعن مساوئ الحكم التي كانت قائمة يومئذ .

وحين قام الحكم الوطني في العراق ، على اساس ديموقراطي ، دعت الحكومة الى تأليف برلمان ، يأخذ على عاتقه مهمة لتشريع وتمثيل الشعب ازاء الحكومة . ولعل الرصافي كان اوّل الشعراء الذين شاركوا الحكومة رغبتها في اقامة هذا المجلس ، فقد عاد الى العراق بعد ان غادره على الا يعود اليه ، ويبدو ان الامل كان يملأ جوانحه هذه المرة في ان يحقق بعض امانيه ، وان يخوض معترك السياسة كما خاضها في المجلس العثماني ، حين اصبح عضوا فيه بعد اعلان الدستور ، ففي قصيدة

---

(١) انظر مقال "الرصافي يتحدّث عن نفسه" في مجلة الثقافة الجديدة ١٩٥٤/١ والادب العصرى لرفائيل بطي في موضوع "الزهاوى" .

عنوانها "الى ابناء الوطن" وقد القاها في حفلة تكريمية اقيمت له ناشد فيها الناس بمعاضدة الحكومة في انتخاب المجلس التأسيسي فقال :

سر في حياتك سير نابه ... ولم الزمان ولا تحابه

لا بدّ للوطن العزيز ... من المسكّن لاضطرابه
من مجلس للشعب ينظر ... بالتأمل في مآبه
وينوب عن ابنائه ... ان صادقوه على منابه
حتى نرى امر البلاد ... به يعود الى نصابه
ابهت حكومتنا له ... والشعب ليس له بآبه
اترى الحكومة تبتغيه ... ونحن نعرض عن طلابه
هذا لعمر ابيك ما ... يدعو الحليم الى انتخابه
هلّا يقوم القاعدون ... مسارعين الى انتخابه
كي ينقذ الوطن الذى ... صرف الزمان له بنابه
وغدا يهدّد بالبوار ... بنيه بور في ترابه
ان لم تكونوا مدركيه ... فلا محالة من خرابه(١)

على ان الدعوة الى انتخاب البرلمان ، لم تكن موضع اتفاق بين جميع ابناء الوطن ، فان الارادة الملكية قد صدرت في ١٩ تشرين الاول سنة ١٩٢٢ بان تبدأ الانتخابات في ٢٤ من الشهر نفسه ، ولكن الفكرة لقيت معارضة شديدة "حيث اتحد العلماء والوطنيون والشيعة في معارضة تنفيذها " واقنع كثير من العلماء باصدار الفتاوى لتحريم اى اشتراك في الانتخابات ، وقد توقفت تلك الانتخابات في كثير من المراكز الشيعية ، فاستقالت اللجان الانتخابية ، واعلن الموظفون عن فشلهم في تأليفها ، وقد بذلت مساع جمة لاقناع العلماء في العدول عن موقفهم

---

(١) ديوان الرصافي ص٧١

ولكن تلك المساعي ذهبت ادراج الرياح ، وانتهى الامر الى قيام مظاهرات اضطرت معها الحكومة الى ابعاد بعض العناصر التي اشتركت فيها ، وانتهى الامر باجراء الانتخابات وقيام المجلس التأسيسي .(١)

ولكن كثيرا من الصحف الوطنية هبّت مستبشرة بقيام الحكم النيابي . وكانت جريدة الاستقلال اكثر حماسة من غيرها في الدعوة الى المجلس التأسيسي ، فهو الدعامة الاولى من دعائم الحكم الذاتي ، على رأيها ، لان ارادة الامة هي التي ستكون مصدر السلطات . اما المعارضة في ميدان الشعر او الصحافة ، فانها بالرغم من انتشارها في مناطق واسعة ، وبين عدد كبير من الناس ، فانها لم تترك آثارا واضحة ، ولعلّ للجهود التي بذلت من جانب الحكومة اثر واضح في اخفات تلك المعارضة ، فلم يتهيأ الجوّ لها الا بعد ابعاد عدد من العناصر المثيرة لها .

---

(١) انظر تفاصيل ذلك في الفصل الحادى والعشرين من كتاب Ireland وهذه صورة احدى الفتاوى التي صدرت لمقاطعة الانتخابات في ٨ تشرين الثاني سنة ١٩٢٢ "بسم الله الرحمن الرحيم ، الى كافة اخواننا المتدينين المتمسكين بشريعة سيد المرسلين صلاة الله وسلامه عليه وعلى آله الطيبين الطاهرين ... لا يخفى على كل ذى لب انه صدر منا الحكم بحرمة (كذا) الانتخابات واعلنا الى كافة المؤمنين وكتبنا ان الداخل فيه والمساعد عليه كمن حارب الله ورسوله واولياءه صلوات الله عليهم اجمعين ... وليعلم ان حكم الله لم يتغير وان الجهة التي دعتنا الى التحريم لم تتبدل " .

وفي النهاية انتصرت الفكرة ، ودعى الناس الى التصويت لانتخاب اعضاء البرلمان الذى اطلقوا عليه المجلس التأسيسى ، وقد وجهت جريدة الاستقلال الى الناخبين النداء التالي " ... ستجتمعون اليوم لانتخاب النواب ... انه المجلس التأسيسي الذى يؤسس اركان هذه الدولة ويؤيد سلطان هذه البلاد ، ويرسم الخطط لتشييد بناء المستقبل ، ويضع المناهج لسير الامال القومية لهذا الشعب المنكود الطالع الذى لم يساعده الحظ لئن يعيش عيش احط الامم الغربية منذ عشرات القرون ."(١)

وقد تم انتخاب الاعضاء الذين اطلق عليهم اسم "المندوبين" على اعتبار ان الامة هي التي انتدبتهم للدفاع عنها ، وقد افتتح يوم الخميس في ٢٧ اذار سنة ١٩٢٤ ، فكتبت جريدة العراق : " قد دخلنا اليوم عهدا نيابيا ، نأمل ان نتمتع فيه بملء الحرية التي تتمتع بها الشعوب الناهضة " (٢) وكتبت العالم العربي "في هذا اليوم الخالد يبتدئ عهد الاستقلال الفعلي ، وتبرز لاول مرة شخصية الامة في نوابها " وكتبت صحيفة اخرى " ما احلى هذا اليوم وما اطيبه نرى فيه ممثلي الامة ومظهرى ارادتها تجتمع لتبت في مستقبل البلاد " وكانت المهمة الاولى للمجلس المذكور هي وضع دستور يعين نظام الحكم ، ويحدد القواعد العامة التي تخضع لها الدولة ، لذلك فقد علق المواطنون اهمية عظمى على المجلس المذكور ، وراحت الصحف تنبه المندوبين الى ما ينتظرهم من تبعات جسام ، كما قام الشعراء يذكرونهم بالتزاماتهم تجاه الشعب ، ففي قصيدة عنوانها "من الشعب الى المندوب" (٣) يذكرهم

---

(١) جريدة الاستقلال ١٩٢٤/٣٦٧

(٢) جريدة الاستقلال ١٩٢٤/٣٩٨

(٣) جريدة العراق ١٩٢٤/١١٩٣

فيه بان مجلسهم يجب ان يحقق رغائب الشعب ، ما دام منبثقا عن ارادته ومشيئته .

ارادة الشعب حكم لا تغالبه	كل القوى فامض فيما انت طالبه
فما ارادتك العليا بنافذة	الا اذا اجتمعت فيها رغائبه
ليت العراق درى ماذا ستورده	هذى الرجال وهل تصفو مشاربه
قد مثلوه على ما قبل في زمن	بهم عواقبه كثر عجائبه
فلينظروا كل امر يقطعون به	فالشعب يرفض الا ما يناسبه

وهذا الاستبشار يطوى في ثناياه الحذر ، مما سيبرمه المجلس التأسيسي من معاهدات وما يتخذه من قرارات ، قد لا تنال رضا الشعب ، ومثل ذلك قول البنّاء :

يايها النائب المندوب عن امم	القت اليه مقاليد التدابير
احذر مناقشة الشعب الحساب غدا	من دون عذر واشفاق وتوقير (١)

وهذه المعاني التي تناولها الشعراء ، كما تناولتها الصحافة ، كانت وليدة الوعي الجديد ، ووليدة التيارات الفكرية التي اجتاحت ربوع الشرق ، فقد كتبت جريدة الاستقلال قائلة :

"خرقت الستائر فزال الحكم الفردى حتى تطوّرت الحالة الى ما نراه في دور النهضة وعرفت الامة موقفها وحراجته ، عرفت معاني السلطات ومقاصدها ، عرفت انها ترزح تحت قيود اثقلتها ، وعرفت آنئذ حاجتها الشديدة الى الاستقلال ". (٢)

واذا كان البرلمان من اهم دعائم الحكم الديموقراطي الذى

---

(١) الاستقلال ٤١٣ / ١٩٢٤

(٢) الاستقلال ٣٦٦ / ١٩٢٤

يقوم على الحرية ،فان الناس قد استبشروا بهذا الحادث العظيم في حياة البلاد ،بعد ان ارهقهم الاستبداد العثماني ، وقد اتجه الشعراء مطالبين باطلاق الحريات ، ومن اهمها حرية الصحافة ،لانها من ابرز مظاهر الحكم الديموقراطي الذى اختاره العراق نظاما ،وقد اصبحت الحرية معشوقة الناس بعد ان حجبت عنهم طويلا ،ولنستمع الى احد الشعراء داعيا اليها ،هاتفا بها :

الى فئة استقلال مهبط وحينا ... ابث لظى وجد يشب بها

فيا نسمة من مسقط الرأس اقبلت ... يطبب امراض المفارق طيبها

فانى على حرية الصحف منشد ... متى يتغنى منشدا عندليبها (١)

ويتجه هذا الاتجاه شاعر اخر هو محمد الخليل اذ يقول :

يأيها النواب حسبكم ... حرية الاقوال والعمل

في مجلس التأسيس ان لكم ... صوتا يرن بمسمع الدول (٢)

ولم يكتف الشعراء بتوجيه النداء الى النواب ،بل اخذوا يطالبون الشعب ان يعنى باختيار ممثليه ،من اولئك الذين يسهرون على مصالحه ، ولا يفرّطون في حقوق البلاد ،واليك نموذجا لهذا اللون من الشعر :

لا تنتقوا نائبا ما لم يكن يقظا ... لا يغفل الطرف منه كيفما دارا

لا تنتقوا نائبا ما لم يكن علما ... ثبت الجنان على الاحداث جبّارا

لا تنتقوا نائبا ما لم يكن اسدا ... على محو اهل الظلم مغوارا

اولئك القوم نوّاب تؤيدهم ... يحققون لهذا القطر اوطارا

ويرفعون صروح العلم زاهية ... ويدفعون عن الاوطان اخطارا

نريده نائبا من راح يحملنا ... لا من يحملنا بالظلم اوقارا

الى الامام كرام القوم ان بنا ... في صفحة المجد بالاقدام آثارا (٣)

---

(١) الاستقلال ٥١٨/ ١٩٢٤

(٢) الاستقلال ٤٠١ / ١٩٢٤

(٣) الاستقلال ٣ آب سنة ١٩٢٣

والقصيدة بجملتها تشير الى المحاذير الناجمة عن اساءة انتخاب النواب ممن لا يصلحون للنيابة . وقد استخدم الشعر لتأييد المرشحين ، ولكننا قلما نعثر على هذا اللون من الشعر في الادب الفصيح ، انما كان الشاعر الشعبي عبود الكرخي يستخدمه على نطاق واسع ، ومن امثلة ذلك قصيدة له في تأييد احد المرشحين ،[١] وهو "كاظم الشمخاني".

ومثلها قصيدة "ترشيح المحسن الكبير"[٢] التي يدعو فيها لهذا المرشح ، وقصيدة "الى الثانوي الكريم"[٣] التي يدعو فيها لمرشح اخر هو جعفر ابو التمن ، وكلها باللغة العامة ، وحين تمّ تأليف البرلمان ، وتعاقبت دوراته ، اخذ بعض الشعراء يقفون منه موقفا سلبيا .

ففي قصيدة عنوانها " قانون جبر الخواطر"[٤] ينعى الشاعر على الحكومات المتعاقبة بانها لم تسلك سبلا قويمة في الانتخابات ، وانما كانت تتخذ منها وسيلة للانعام على المنسوبين ، واسكات المناوئين ، ولندع الشاعر يلقي قوله :

مضى زمن والبرلمان وسيلة	لاسكات منسوب واقناع آخر
وكانت قضايا الانتخابات كلها	تسير على قانون "جبر الخواطر"
وقد بذلت تلك الوزارات جهدها	لاقصاء ارباب النهى والضمائر
وهل تركت بين المقاعد مقعدا	لتكريم فنان وتقدير ماهر

ولكن المجلس — سواء في دورته الاولى ام في الدورات المتعاقبة بعده — لم يحقق ، على رأي الكثيرين رغائب الامة ومطامح

---

(١) جريدة المفيد ٣٨٨/ ١٩٢٥

(٢) جريدة الكرخ ٣/ ١٩٢٤

(٣) جريدة الكرخ ٨/ ١٩٢٤

(٤) ديوان العواطف ص ١٤١

الشعـــب .

ففي قصيدة "رب القصر في نومه"[1] صورة اولئك الشيوخ من العشائر الذين الفهم المجلس النيابي ، وهم يضطهدون فلاحيهم ، ولا يقرون ضيفا ، بل يتركون كلابهم تنبح وتفزع القادمين ، وفـــي كل دورة تعاودهم الاحلام في العودة الى البرلمان .

وفي مقطوعة عنوانها "ابناء الشعب والنواب"[2] ينعـــى الشاعر على الاعضاء انهم تركوا السفينة تعبث بها الرياح ، وكـــان سكوتهم عن حقوق الامة قد جعل المصائب تنزل بها :

نوابنـــا وشئوننـــــا	لما استبدّ بها العلــوج
شأن السفينة عافهـــا	الربان في بحر يمـــوج
ولقد غدا من صمتكـــم	للنائبات بنـــا ضجيـج

ويتمنى الشيخ علي الشرقي في قصيدته "اوهام"[3] لو حلّ البرلمان ساعة انعقاده فهو لا يكترث لعظائم الامور ، بل يهملها ويوجّه اهتمامه الـى الصغائر :

ندوة تهمل الامور الخطيرة	فهو من حولها كدجلة مـرّت
واذا جاءت القضايا الصغيرة	جلبت ضجة وكرت و فـــرّت
برلمان العراق مذ اوجدوه	صوروه بابدع التصويـــــــر
ما لاجل التصوير قد عقدوه	بل لاجـل التشريع والتدبير

---

(١) ديوان العواطف ص ١٤٢

(٢) رباعيات الحبوبي ص ٣٧

(٣) ديوان عواطف وعواصف ص ١٠٥

وفي قصيدة "المجلس المفجوع" [1] يرسم الشاعر صورة المجلس حين يكون التصويت على اللوائح المعروضة عليه ، فترفع الايدى للتصويت ، دون رويّة في الامر ، وانما يكون ذلك رهن اشارة توجه الى المصوّتين :

ولقد اقول لرافعين اصابعا ليست تحسّ كانها احطاب
رهن الاشارة تختفي او تعتلي وينال منها السلب والايجاب
هل تنهضون اذا استثيرت نخوة او تجمدون كانكم اخشاب

وقد طفق الشعراء يسخرون بالمجلس حينا ، وباعضائه حينا اخر ، ويعرضون صورا للاساليب التي يستخدمها النواب للوصول الى اهدافهم .

ما بين (دار الاعتماد) ومنزل (المندوب) رثت ارجلي [2] ونعالي
طبلت يوم الانتخاب لكي افز وبذلت ما بين الورى اموالي [2]

وقد شارك الشعر الشعبي في التندر بالنواب ، ومن اكثر صلة بالشعب من نائبه ؟ وما نجده من الوان في هذا الادب ، انما هو صورة للافكار السائدة عند هذه الطبقة من الناس ، فقد اتهم النواب ، بانهم لا يمثلون مصالح الامة ، بل هم صنائع الاجنبي :

ايها النائب سكوت اسكت ارجو روح موت [3]
منين تشرب (فيرموت) و (ويسكى ، وبيرة ، وعصير)
فقط فكرك طلع صائب ولذا تنتصب نائب
حيث انت للاجانب من صرت خادم حقير

---

(١) ديوان الجواهرى ص ٢٨٣ (طبعة ١٩٢٥)
(٢) ~~ديوان الجواهرى ص ٢٨٣~~ جريدة الكرخ ٧/٤/١٩٢٤
(٣) جريدة الكرخ ٣/ ١٩٢٤

جميع اكله مـا تفـوتـك بالقواطـي زقنبوتـك [١]
وانت كان البصل قوتـك دائمى وخـبز الشعير

جابها يا نحـل ربـك حيث (ابوناجي)[٢]يحبك
روح عاد اضحك بعبّـك اصبحت نائـب كبـير

اظهرت كـل الخصومة الى المـوطن والحكومة
بالنيابة طلعت بومـة وكشف صبغك بالاخـير

ولا تفارق الجواهرى ثورته حتى على البرلمان فلنستمع اليه اذ يقول :

ومن ظن المجالس عامرات بمدح انها شحنت سبابـا
ويعرف من اراد صميم شعبى رميا اىّ شاكلة اصابـا
ويدرك اين صفو الماء عنـه ورنّقه اذا ورد اللعابا
ولو عرفت بلادى ما ارادت بما النواب لم ترد انتخابا [٣]

وهو لا يقف عند هذا الحد ، بل يرى أن اولئك الاعضاء قوما هوجا ، واذا نوقشت القضايا كانوا نائمين ، وهي تصب رزاياها على الشعب بشكل منظم ، وهو بذلك يريد ان يخلق من البرلمان صورة للمقهى ، يقتل الناس فيها اوقاتهم بالتثاوءب والتدخين

هنالك قصر قد اعدّت قبابه لتدخين بطالين هوج ونوم
تصبّ على الشعب الرزايا وانما يصبونها فيه بشكل منظـم [٤]

---

(١) طعامك ٠

(٢) بريطانيا ٠

(٣) ديوان الجواهرى (ط٢) ص ١٣٦ ٠

(٤) ديوان الجواهرى (الطبعة الثانية) ص٢٩١ ٠

ولئن وقف الشعراء من البرلمان هذا الموقف ، ولئن كان بعض ما قالـوه منطويا على حق ، فان البرلمان ضرورة للحياة الديمقراطية لا غنى عنها ، واذا كانت السبل التي تسلك للوصول الى مجلس النيابة غير صحيحة احيانا ، فان ذلك لا يبرّر الوقوف موقفا سلبيا ازاء البرلمان ، بل يجب العمل على قيام حياة ديموقراطية صحيحة ، تقوم على التمثيل الحقيقي للشعب الذى يستطيع ان يملي ارادته على الحكومة بواسطة ممثليه .

وثمة اثر آخر للبرلمان لا في الشعر العراقي فحسب ، بل في الحياة الفكرية عامة ، فطالما وقف اعضاوءه يدافعون عن حرية الفكر ، ويهيبون بالحكومة ان تمنح الصحافة حريتها كاملة ، وكثيرا ما اثيرت في البرلمان من المشاكل السياسية ما ينبعث صداه في الحياة العامة ، ويثير العواطف ويدفع الشعراء الى المساهمة في تلك الامور .

وبالرغم من ذلك النقد الذى وجّه الى البرلمان ، كما اشرنا ، وبالرغم من انه لم يسقط حكومة واحدة بطريقة الاقتراع طوال هذه الفترة - بالرغم من هذا كله فان المعارضة كانت وما زالت قائمة فيه ، تخالف الحكومة احيانا ، وتتفق معها احيانا اخرى ، ولكنها تثير من القضايا العامة والمشاكل السياسية ، ما يحفز على المساهمة فيها .

واذا كان العراق حديث عهد بالحياة البرلمانية ، بل بالحياة الديموقراطية ، فان ما نشهده فيه من نقص في اساليب الحكم ، لم يكن الا وليد تلك الرواسب القديمة التي انحدرت الينا من اعماق الماضي ، وكلما انتشر الوعي وعمت الثقافة ، رسخت اسس الحياة الديموقراطية ، وظهرت للبرلمان اهميته الكبرى .

ولا حاجة بنا الى القول ان الشعر لا يزدهر الا في ظلّ الحرية ،ولو اردنا ان نستقرئ تطوّراته منذ العصر الجاهلي حتى الان لاستطعنا ان نظفر بامثلة تقيم الدليل على صحة هذا القول ،ففي العصر الجاهلي بلغت الحرية مرحلة هي اقرب الى الفوضى ،يوم كانت القبيلة هي الهيئة الاجتماعية والسياسية التي يخضع لها الفرد ،هذا الفرد الذى لا تحد حريته الا تقاليد وعادات معينة ،وحين جاء دور الاسلام ، لم يقيّد من حرية الناس.

وما يدريك لعل اضمحلال شأن الشعر ، فيما نطلق عليه الفترة المظلمة من الزمن ،وهي فترة الحكم المغولي والعثماني ،يعود على الارجح ،الى ذلك الارهاب الذى ساد البلاد التي وقعت تحت سيطرة اولئك الغاصبين ،واذا كانت بعض المؤلفات العلمية قد وضعت في تلك الفترة ،فانك لا تستطيع ان تعثر على شعر يرتفع الى مستوى ما قيل في العصور التي سبقته .

٣ ـ المعاهدات

منذ بداية الحكم الوطني ،اشير الى معاهدة تحدّد العلاقات بين العراق وبريطانيا ،[١] ولكنها لم تبرم الا بعد مرور سنتين اى في سنة ١٩٢٢ ،وقد تمت الموافقة عليها آنذاك من قبل مجلس الوزراء ، اما مجلس الامة فانه لم يكن قد ظهر بعد الى الوجود ، فقامت المعارضة تحمل عليها حملات منكرة ، لانها رأت في تلك المعاهدة انتقاصا من سيادة البلاد واجحافا بحقوقها ،فعدّلت مرة اخرى ،ولكن الصيحة

---

(١) انظر البرقيتين المتبادلتين بين الملك جورج الخامس والملك فيصل الاول عند تسنمه العرش (Ireland: Appendix: 8)

قامت من جديد لان الاسباب التي دعت الى رفضها لم تزل قائمة ، بالرغم من ان مجلس الامة قد صادق عليها هذه المرة ، فعدّلت للمرة الثالثة ،حتى كانت سنة ١٩٣٠ فعدلت للمرة الرابعة والاخيرة وقد نصّت على استقلال العراق وتمتعه بسيادته كاملة غير منقوصة ٠ ولكن الواقع لم يكن هذا ،فان التغييرات الشكلية التي طرأت على البلد لم تبدّل من الحقيقة شيئا منذ مرحلة الاحتلال ،ثم الانتداب بعدها فالاستقلال فقد "شاءت السياسات التي تعاقبت على البلد ان يظل اشبه بامتداد لعهد الاحتلال ، واذا كانت وجوه الحاكمين قد تغيرت ،فان اصول السياسة وطبيعة العمل في ميادين الحياة كافة لم تتغير ٠ فقد كثرت الوعود وكثرت معها الاقوال ، وضيم احرار البلد ،وكمت الالسنة وتعددت المعاهدات التي لم تحقق للبلد — رفاها او املا في هذا الرفاه "،ومع انقضاء عدة سنوات على تلك المعاهدات فما زالت الشكاوى ترتفع ،والاصوات تتعالى من التدخل الاجنبي باسم تلك المعاهدات ،وقد اشرنا من قبل الى مأساة عبد المحسن السعدون ، الذى لم يستطع ان يوفق بين وجهة النظر العراقية ووجهة النظر البريطانية ،فآثر الموت على الحياة ، ونعى على بريطانيا وقوفها ضد مصلحة البلاد ،وبالرغم من وقوع هذه الكارثة فقد ابرمت المعاهدة ، كما اشرنا ،واخذ الناس يرقبون سير الامور وتطور الاحوال ،فاذا بهم يشهدون كل شيء يسير على مجراه السابق ،مع استثناءات محدودة ، وكل ما تغير ان النصوص التي تضمنتها تلك المعاهدة ،كانت تفسّر بين حين واخر تفسيرات مختلفة ،لم تكن يوما في صالح العراق ،وهكذا تمر الايام وهو ما زال يشكو جور المعاهدات ،واستغلالها من قبل الجانب القوى ٠

---

(١) ناصر الحاني : محاضرات عن الزهاوي ص ٦٠

ومن اولى القصائد التي تطالعنا في التنديد بالمعاهدات قصيدة للزهاوى عنوانها "يستفتى ويهدد"[1] ومنها :

تلغى معاهدة واخرى تعقد والشعب يستفتى لها ويهدد
والشعب يطرى للجهالة خنجرا في صدره عما قريب يغمـد

حتى يقول :

الشعب بالقيد الثقيل مكبـل حتى يكاد اذا تحرّك يقعد

وبعد ان تمّ ابرام المعاهدة ونشرها ،وقف منها الرصافي الشاعر موقف الرصافي العضو في البرلمان ، والذى كان احد المعارضين ،ونشر قصيدته التي عنوانها "عند نشر المعاهدة" ومنها :

نشروا المعاهدة التي في طيها قيد يعض بارجل الامـال

وفيها يقول :

والعهد بين الانجليز وبيننـا كالعهد بين الشاة والرئبال[2]

وقد اخذ الزهاوى هذا المعنى فقال :

لقد عقدت حملانه باختيارها مع الذئب عهدا واستنامت الى العهد
وقد حمد الحملان صفقة عقدها وسوف يرى الحملان عاقبه العقـد[3]

ثم تمضي الايام ،فتبقى ذكريات المعاهدة ماثلة في الاذهان ،تعيد الى الذاكرة صورة النفوذ الاجنبي ،الذى اتخذ منها وسيلة لتدخله في شئون البلاد ،وفي ذلك يقول الجواهرى :

---

(١) الاوشال ص ٦٤
(٢) ديوان الرصافي ٥١٢
(٣) الاوشال ص ٨٣

انا لنبرأ من نصـوص عندنـا   تمضى على ما لا نحب وتمهر [١]

اما الشاعر النجفي فيتصور الحكومة ، وقد تعلقت بالغرب خلال المعاهدات ، ملتمسة فيها الدواء لما تعانيه من ضعف وشيخوخة ، فلم يسعفها ذلـك الدواء ، وهذه ابيات من القصيدة :

أيا دولة شاخت وان تك طفلة   وقد خرفت من قبل ان تبلغ الرشدا
وقد نفخت حتى تطير بسرعـة   ولكنها انشقت لدى نفخها اشتدا
يرومون ترقيعا لها ورقاعها   تسابقها بالفتح اذ قدمت عهـدا
فلا في سياساتها بلغت منـى   ولا في اقتصادياتها بلغت قصـدا

ثم يعرج الشاعر على النفوذ الاجنبي فيها ، ويرى ان ارتباطها بالغـرب قد ادّى بها الى الهزال والضعف ، حتى اصبحت هيكلا عظميا لا يستطيع الاعتماد على نفسه :

تروم بطب الغرب برءا لدائها   فتطعمها سما فتحسبه شهـدا
عقاقير طب الغرب هدّت كيانها   فلم يبق الا العظم قد فقد الجلدا
هي الهيكل العظمي يسحب ماشيا   ولم تر من اسناده بالعصا بـدا [٢]

ويستعرض شاعر اخر تلك الاحلاف التي لم تحقق امانيّ البلاد :

هل حقق الحلف ما كنا نؤمله   استغفر الله بل غطّى على الامل

ثم ينتهي الى تلك التعابير التي صيغت في لندن ، حيث عقدت المعاهدة ، فكانت اغلالا تقيّد العراق . اما الذين وقعوها فقد ادّعوا انها الخطـوة الاولى نحو العمل المثمر ، وعندى ان الشاعر لم يوفق من الناحية الفنيـة في البيتين التاليين ، لان الصورة التي رسمها فيهما لا تنسجم عناصرها

---

(١) ديوان الجواهرى ٣ / ٢٢

(٢) قصيدة لم تنشر للشاعر .

ولا تأتلف الوانهـــا :

صيغت بلندن اقراط واســورة ... من الحديد وان كانت من الجمل
قالوا عشية خطتها اناملهـــــم ... هذى هي الخطوة الكبرى الى العمل[1]

والى مثل هذا التضليل يشير الرصافي في قصيدته "بين الانتداب والاستقلال"[2]. فيرى ان تلك العهود المموهة ليست الا قيودا يغل بها استقلال البلاد ، وتسلب حريتها :

خلقتم لنا من كل عهد مموّه ... قيودا بها استقلالنا يتقيـــد
الى ان غدا استقلالنا ضحكة الورى ... به ساخر كل امرئ ومنـدّد

وفي قصيدة عنوانها "الميثاق"[3] للشاعر حبيب العبيدى ، وصف لما تنطوى عليه المعاهدة من خداع وتضليل ، فهي حين تنص على حقوق الشعب في التمتع بحريته وسيادته ، تحول في الوقت نفسه ، بينه وبين ممارسة هذه الحقوق المنصوص عليها ، والشاعر هنا يلقي حديثه على لسان الشعب ، مصورا حالهُ في التناقض القائم بين النصوص المثبتة ، والواقع الذى يعيش فيه الشعب :

نحن في معجم السياسة شعـــب ... رب ملك وما ملكنا حطامـــا
نحن في معجم السياسة شعـــب ... ذو نظام وما ملكنا النظامـا
نحن في معجم السياسة احرار ... ولكننا قاصرون يتامـــــــى

ثم ينطلق الشاعر ، وراء التعابير التي وجدت في الحرب العالميـــة الاولى وما بعدها ، من مرادفات الاستعمار ، كالوصاية التي استغلـت من قبل المستعمرين للايقاع بالموصى عليهم ، وهم اشبه بالايتام ثم يسأل

---

(١) من قصيدة عنوانها "بين العراق وحليفته" لشاعر كعراقي كبير كما قالت عنه جريدة الجهاد في عددها الصادر في ١٨ آب سنة ١٩٣٠ .
(٢) ديوان الرصافي ٤٦٩ .
(٣) جريدة البلاد ٣٠ / ١٩٣٠ .

الحليفة ان تخفف تلك القيود التي فرضتها تحت ستار الحلف والمعاهدات :

ايها المفترى الوصاية نينا ظلمت اوصياؤك الايتامـــا
خففي ايها الحليفة عنـــا من قيود اصبحن عارا وذما

والشاعر ينحو في قصيدته "العراق والحليفة"[1] المنحى نفسه ، وينعى على الحليفة مكرها ودهاءها ، ويتابعه في هذا الاتجاه الشاعر محمود الملاح في قصيدته "صوت البلاد"[2] التي نظمها بمناسبة قدوم المعتمد السامي الجديد وها نحن نقتطف منها ابياتا تشير الى الغموض الذى يتعمده البريطانيون في المعاهدات ، كي يفسروها ويستغلوها لمصالحهم :

ارى كل صوت عند انجلترا ركزا وان بلغت اصوات صارخنا الجوزا
فان كان في الاذان وقرفما الذى دهى أعينا منهم فلا تفقه الغمـزا
مضى (كوكس) مع (دوبس) و (كليتن) وها نحن نبغى ان نواجه (همفرزا)[3]
عميد رجال حنكتهـم تجارب قد اتخذوا لب الدهاء لهم رمـزا
فلا يبرمون الامر ما كان واضحا ولا يقطعون العهد ما لم يكن لغزا[4]

ولعل من اطرف القصائد في بيان اساليب الانجليز في المكر والخديعة ، قصيدة للشاعر ابي المحاسن الكربلائي ، الذى تقلّد منصـب الوزارة اكثر من مرة في العهد الفيصلي ، وفيها يدير حوارا بينـه وبين غادة رائعة الجمال ، يرمز بها الى بريطانيا ، التي تعترف بـان

---

(١) جريدة البلاد ٤٧/ ١٩٣٠

(٢) جريدة البلاد ٢٨/ ١٩٢٩

(٣) الاسماء التي بين الاقواس ، للمندوبين السامين البريطانيين الذين تعاقبوا في العراق منذ سنة ١٩٣٠ حتى تاريخ نظم القصيدة .

(٤) جريدة البلاد ٢٨ / ١٩٢٩

بنيها "يرق قولهم ويقسو فعلهم" وقد اتخذوا الخداع سجية لهم ، فحين يدّعون الرأفة والعدل والسلام ، لا يعنون حقائق هذه المفاهيم ، انما يعمدون الى التضليل والتمويه ،وما ارى بأسا في اثبات هذه القصيدة التي عنوانها "انجلترا ممثلة في فتاة"(١) وقد سلك فيها الشاعر اسلوبا قصصيا ممتعا :

انجليزية تروق وتسبي	عاشقيها بوجنة وردية
برزت وانثنت فاشرق بدر	نيّر فوق صعدة سمهرية
قلت ما نسبة الفتاة فقالت	واشارت لخدّها : لندنية
قلت بالله من ابوك فأومت	لي بالطرف : ناظرالحربية
قلت هلا شفيت وجد قلوب	نارها مثل وجنتيك ذكية
اعرقت دولة الملاحة فيكم	وباهليك قامت المدنية
كيف اصبحت مستبدّة حسن	اين ضلّت محاسن الحرية
يا فتاة سلّت على الظبى	نابليون من لحظها ظبا مشرفيّة

ويخيّل اليّ ان الشاعر في قصيدته هذه بلغ ما لم يبلغه الرصافي في "غادة الانتداب" وبحر العلوم في "الانسة" ، فقد اجاد فيها من الناحية الفنية ،حين استطاع ان ينتزع ما يجول في خاطرها من افكار :

انا اسكنتك العراق فرفقا	بي يا بنت مدّعى الوطنية
فاجابتعن ابتسامة ثغر	فاخذت الرسالة البرقية
غرّكم لامع السراب فجئتم	تطلبون الردى بغير روية
نحن قوم نرق قولا ويقسو	فعلنا والخداع منا سجيّة
ندّعي رأفة ونذكر عدلا	وسلاما ورحمة بشرية
كلمات بلاّ حقائق تجرى	مثل خصرى بصورة وهمية

---

(١) كتاب العروبة مع الناس للحوماني ص ٢١ ـ ٢٢

ولم يخل الشعر العامي من مثل هذه الاساليب ،التي تنطوى على السخرية والتندر ، ولعلنا نجد في قصيدتي "الواوى والديك او على مرسح السياسة"[1] و"الذئب والكلب"[2] صورا للعلاقة بين القوى والضعيف، الخب والمغفل ،ولئن القى الحديث على السنـــة الحيوان ، فلان الشاعر يرى ان الرمز آمن عاقبة ،وان التلميح خـــير من التصريح ،ولعله اراد ان يسير على طريقة ابن العلاّف يـــوم نظم داليته الرائعة في رثاء هرّ ، ولكنه كان يعنى غيره .

ومعظم الشعر الذى نقروءه في التنديد بالنفوذ الاجنبي والمعاهدات ،لم يكن الا صدى للمعارضة والرأى العام ، وها نحن نقتطف شيئا من اقوال المعارضين وكذلك الموءيدين للمعاهدة التـــي وقعت سنة ١٩٣٠ ،يقول ياسين الهاشمي عنها :

"انها صاغت لنا الاستقلال من مواد الاختلال "[3] ويقول حكمت سليمان " انها تضمنت الاحتلال الابدى "[4] اما السيد نورى السعيد الذى ابرم المعاهدة فيدافع عنها قائلا انها "تعادل على وجه العموم المعاهدة التي وافق عليها النحاس والوفد المصرى".

وحين ابرمت معاهدة سنة ١٩٢٧ ،كتبت مستبشرة جريدة لواء الاستقلال تحت عنوان "نظرة في المعاهدة الجديدة"[5] فقالت : "ولا شك ان الشعب الكريم سيقابل بكل ارتياح ،خلوّها ـ اى المعاهدة ـ من كثير من الالفاظ المشبوهة كالاستشارة والمساعدة والاستدلال والمشورة والخطط الملائمة وغيرها من الالفاظ والعبارات التي كثيرا مـــا

---

(١) ديوان الكرخي ص٣٠

(٢) ديوان الكرخي ص ٢٦

(٣) ~~الاستقلال ٢٠ ك١ سنة ١٩٢٧~~ جريدة الزمان ٢٨٤ / ١٩٣٠

(٤) جريدة الزمان ٢٨٥ / ١٩٣٠

(٥) ~~جريدة الزمان ٢٨٥/ ١٩٣٠~~ جريدة الاستقلال ٢٠ ك١ / ١٩٢٧

وجدنا ها وسائط مطاطه تتعرض لسيادة البلاد الوطنية والتدخـــل حتى في ابسط شئونها ".

وقد كان الجواهرى ممن رحبوا بهذه المعاهدة ففي قصيدة عنوانها "من لندن الى بغداد "[1] نظمها بمناسبة رجوع جلالة الملك فيصل الاول من لندن الى عاصمة ملكه بغداد بعد الاشراف على المفاوضات التي سبقت معاهدة سنة ١٩٢٧ المشهورة ، يستهل القصيدة بقوله :

حياك ربي من ساع بسرّاء   يلقى الوفود بوجه منه وضّاء

واذا كانت البشرى بابرام هذه المعاهدة ، قد احيت كثيرا من الامال ، فلانها ضمنت للعراق منطقة الموصل التي كانت تطالب بها تركيا ، وهذه المنطقة من اهم اجزاء العراق ، واقتطاعها يؤدى الى اضرار جمـة تلحق بالوطن .

وفي قصيدة عنوانها "في الطيارة او على ابواب المفاوضات "[2] للشاعر نفسه ترحيب بتلك المعاهدة وتحية للملك الذى اشرف عليها :

مدح الملوك الشاعرون وانما   افرغت قلبي للمليك مدائحا
في ظل مولاى الكريم ولطفـه   ابدا اجيد خواطرا وسوانحا

وللشاعر نفسه قصيدة عنوانها "الزعيم " موجهة الى السيد نورى السعيد ، الذى لعب دورا مهما في الحياة السياسية للعراق ، والذى كـــان يشترك في عقد كثير من المعاهدات بين العراق وبريطانيا ، ومـــن هذه القصيدة :

---

(١) ديوان الجواهرى (ط١) ص ٧٣

(٢) المصدر نفسه ص ٢٦

عليك سلام ايها البطل الفرد تطالعك البشرى ويخدمك السعد
زعيم رأت فيك الزعامة قادرا عليها وجنديا يقدّرك الجنـــد
حلفت لقد ابديت جهدا وقدرة هما كل ما يستطيعه العقل والجهد (١)

ومن قصيدة اخرى موجهة الى الرجل نفسه :

كل يوم تسمو بمجد جديـد وفخار ماله من مزيـــد

وقد اقترنت الروح الوطنية بالدعوة الى نبذ المعاهدات او التخلص منها بطريق القوة والعنف ، وما عليك الا ان تقرأ القصائد التالية لترى اقتران هاتين الدعوتين بكل جلاء ووضوح :

"حبي عراقي دين "(٢) و"بلادى وقومي "(٣) و"حتى الابـد" (٤) لعدنان الراوى و"احتجاج الوجدان "(٥) للجواهرى و"الغاية القصوى" (٦) لابي طبيخ و"رباعيات "(٧) لكمال عثمان و"تحية العراق وطني " (٨) لمحمد جمال الهاشمي و"بلادى " (٩) لعبد الغنى الخليلى وامثالها كثر .

وكلما مرّت الايام اشتدت الدعوة الى التخلص من التأثير الاجنبي

---

(١) ديوان الجواهرى (ط ٢)ص٢٥٩
(٢) الحرية ٤/ ١٩٢٥
(٣) الهاتف ١١١/ ١٩٣٨
(٤) من الشعر القومي ص ٣٥
(٥) ديوان الجواهرى (الطبقة الاولى) ٢٢٨
(٦) الهاتف ٢٥٦/ ١٩٤١
(٧) صوت العراق ٤٣/ ١٩٥١
(٨) الهاتف ١٥٠/ ١٩٣٩
(٩) الهاتف ٢٣٩/ ١٩٤٠

وتمزيق المعاهدات ، وذلك لن يكون بالرجاء والالتماس ،انما يؤخذ الحق عنوة وبالقوة ،ولنستمع الى قصيدة عنوانها " من الاعماق " (١) للشاعر عبد القادر رشيد الناصرى ينحو فيها هذا المنحى :

ايهذا الاسير في قبضة الذل الام الخضوع للاعداء
ان صوت الحياة يصرخ في اذنيك فانهض من رقدة الاعياء
وانتفض كالنسور ملّت من الارض وتاقت الى الذرى الشمّاء
انت في عصر قوة فاطلب الحق بسفك الدماء لا بالرجاء(١)

ونستطيع ان نلتمس في شعر الجواهرى وصالح بحر العلوم وعدنان الراوى صورا رائعة من هذا الشعر الذى يدعو الى الثورة ، وتحطيم الاغلال ،لنيل الحرية والاستقلال .

وفي قصيدة باللغة العامية عنوانها "الصقر والغراب" (٢) للشاعر الشعبي عبود الكرخى يدير فيها حوارا بين الاول والثاني ، يختلق القوى فيه مختلف الاسباب للفتك بالضعيف ، والقصة منتزعة من "كليلة ودمنة" التي تعد اعظم ما خلده تاريخ الادب السياسى في العراق ، ولئن تناولت قصص الكتاب طغيان الحاكمين ، في حدود ممالكهم ،فان الموضوعات الحديثة في الادب العراقي ، تناولت الى جانب ذلك ،طغيان الدول ، وعدوان القوىّ على الضعيف منها ،واستغلاله اقتصادياته وموارده ،فالنفوذ الاجنبي اصبح يستهدف المنافع الاقتصادية .

وتثور ثائرة الشاعر ناجي القشطيني ،حين يشهد مصرع

---

(١) القلم الجديد ٣/ ١٩٥٢

(٢) جريدة الاستقلال ١٦/ ١٩٢٠

"السعدون" ، وقد اشرنا الى هذا الحادث الذى كان وليد التناقض مع رغائب الانجليز ومطالب الوطنيين حول المعاهدة آنذاك تثور ثائرة الشاعر على الانجليز ، فينعى عليهم وعودهم التي لم تكن الا تبابا ، وانهم يحولون بين البلاد وبين الوصول الى غاياتها ثم ينتقل الى التهديد حين ينطلق الرصاص وتسفك الدماء :

هيا من كان وعدهم وعيدا — ولم نر منهم الا تبابا
لماذا لم يوافق مرشدوكم — اذا رمنا لغايتنا اقترابا
انسفك في تطلبها دماء — ونهلك في تناولها طلابا
وما كدم الشهيد ابى علىّ — يطل دم على الارض احتسابا
فاول قطرة ستكون بحرا — واول صعدة ستكون غابا
واول طلقة ستهزّ ارضا — وتجعل كل عامرها خرابا (١)

ونلتمس الثورة على الاوضاع القائمة والتدخل الاجنبي في شعر محمد صالح بحر العلوم ، ففي قصيدة "احرقى كل ظلوم غاشم"(٢) يخاطب الشاعر فتاة قروية ويدعوها ان تجمع حطبا يحرق به الظالمين ومعظم قصائد هذا الشاعر تنطوى على الوعيد والتهديد والدعوة الى الثورة على النفوذ الاجنبي وعلى الذين يمالئون هذا النفوذ ، ويبرمون المعاهدات بين الطرفين ، ومن احدى قصائده قوله :

يا قلما خط بحبر الدما — خارطة الحكم لهذى الدمى
ان رمد الراسم في امسه — فليتق اليوم رماد العمى (٣)

---

(١) من قصيدة بعثها اليّ الشاعر ، وانظر بعض ابياتها في كتاب بين النهرين للحوماني ص ٣٤٩

(٢) ديوان العواطف ص ١٤٦

(٣) من قصيدة "قتل الشعور" لصالح بحرالعلوم . ديوان العواطف ص ٩٦

ومثل هذه المعاني نلتمسها في قصيدة "حديقة النصائح"[١] لمصطفى جواد و"اصنام"[٢] للحيدرى و"عقابيل داء" للجواهرى[٣]، ومما يلاحظ في الشعر العراقي الحديث، ان تلك الحملات العنيفة ضد الحكم الاجنبي، لم تتغير على مرور الايام، بل كانت تزداد شدة على ذلك النفوذ حينا، وعلى الفئة الحاكمة حينا اخر، لانها تمالىء الاجنبي، وكانت ذكريات الثورة العراقية ومواقف الوطنيين من امثال "السعدون" تملأ النفوس وتهيب بها لازاحة الكابوس الاجنبي، ولو ادّى ذلك الى سفك الدماء:

وليس غير الدم من منقذ — يبتعث المقبور من رمسه
ومااتى السعدون عن خبرة — يغنيك عن قولي وعن درسه[٤]

ويتجه الجواهرى في وعيده نحو هذه الفئة، ويطلب اليها ان تتخلى عن مواكبة الاجنبي الذى يسبغ عليها عطفه ورعايته، وينذرها بيوم تسقط فيه معفرة الوجه في التراب، مشرّدة عن الارض التي تقيم فيها:

قولوا لهم خلّوا (السفير) واسفروا — ودعوا حراب الاجنبي واصحروا
وستعلمون من المجلّي في غد — ومن المكبّ بوجهه المتعفر
ومن المقيم على تراث بلاده — ومن المشرد تائها يتعثر[٥]

---

(١) مجلة ابولو، مايو سنة ١٩٣٤
(٢) ديوان الوان شتى ص ١٠٢
(٣) ديوان الجواهرى (ط ٢) ص ٥٧
(٤) للاثرى، جريدة البلاد ١٩٢٩/٤٣
(٥) ديوان الجواهرى ٢٢/٣

وبمقدار الحماسة التي اثيرت في نفوس الناس ، من جراء تلك المعاهدات المتسلسلة ، انعكست في الادب السياسي ، لا سيما الشعر منه ، ذلك ان الرأى العام في العراق ، كان يتابع باهتمام تطورات الموقف ، والاحداث التي اخذت تستقبلها البلاد ، فقد رأينا كيف ان بعض الصحف اتخذت مواقف ايجابية ، حيال المعاهدات ، ورأت فيها خطوات واضحة نحو الاستقلال والتقدم ، وكيف ان المعارضة تؤيدها صحف اخرى راحت تندد بتلك المعاهدات وترى فيها قيودا للبلاد ، وتمكينا للنفوذ الاجنبي ان يثبت اقدامه فيها ، وكذلك وقف الشعراء حيالها بين مؤيد ومعارض ، ولكن القصائد التي قيلت في معارضتها والتنديد بها كانت اكثر عددا ، وكانت تلقى من الاستحسان والقبول لدى الرأى العام اكثر من تلك التي قيلت في تحبيذها وتأييدها × فالشعب الذى ابتهج بقيام الحكم الوطني ، سرعان ما اخذ ينظر بعين الريبة والحذر الى كثير من المشاريع التي تقوم بها الحكومة ، ومن هنا بدأت تتضارب وجهات النظر حول تلك المعاهدات .

واذا كانت الاحلاف قد وجدت في الحياة العربية من قبل ، وهي تشبه المعاهدات القائمة اليوم من بعض الوجوه ، فانها تختلف عنها من وجوه اخرى لا محل لتفصيلها والافاضة فيها ، وكل ما نستطيع ان نقوله ، ان المعاهدات في العصر الحاضر ، اما ان تكون بين الند والندّ ، او ان تكون بين القويّ والضعيف ، وقد نظر الشرقيون بصورة عامة الى المعاهدات التي تعقدها اممهم مع الدول الغربية على انها من النوع الثاني ، ولعل مصر في مقدّمة البلدان العربية ، التي بدأت فيها المعاهدات في وقت مبكر ، والتي وقف شعبها ورجال الفكر فيها موقفا مناوئا ازاء تلك

المعاهدات ، وقد تسرّب هذا التيار الى سائر البلدان العربيـة ، ومنها العراق ، الذى هبّ شعراؤه منذ المراحل الاولى مـن الحكم الوطني ، يديرون معانيهم حول الدولة الجديدة ، فيبثونها آمالهم وامانيهم الوطنية ، ويهيبون بها ان تأخذ مكانتها تحـت الشمس ، وان تنبذ المعاهدات التي تقيدها ، على رأى المعارضة وفريق من الشعراء والكتاب ، فظهر لون جديد من الادب لـم يألفه الناس في العصور السابقة من الادب العربي .

٤ ـ النفوذ الاجنبـي

ان قيام الثورات ضد الحكم الاجنبي ، في كثير من الممالك ، لم يكن وليد ذلك النفوذ بمقدار ما هو وليد الوعي العام بـين الشعوب التي تدافع عن حريتها ، وتسعى الى نيل استقلالها ، وهذا الوعي ان كان قد استيقظ في اوربا ، فانه سرعان ما سرى فـي مشارق الارض ومغاربها ، فهبت الشعوب تحدّد موقفها ازاء حكوماتها وازاء الغاصبين ، وهبّ الادباء والمفكرون يبعثون الوعي في تلك الشعوب .

ومنذ نهاية العصر العباسي ، حتى عصرنا الحاضر ، خضع العراق لامم متعددة واستمر على هذه الحالة نحوا من بضعـة قرون كما ذكرنا ، ولكننا لم نسمع طوال تلك الفترة شيئا من الشعر منبعثا عن شعور بالظلم ، بالرغم من كثرة المظالم التي انصبت على الناس ، ولم نسمع من الشعر ما ينطوى الى الدعوة الى مقارعـة

الاجنبي ، وتحرير الوطن من قبضته ، بل اتجه الشعر معظمه نحو المديح والرثاء والوصف ، وغيرها من الاغراض القديمة ، ولكننا نسمع في هذه الفترة انات عميقة تطويها الايام ، في شكوى الزمان ، وفساد المقاييس ، وذم الحياة ، واغلب الظن انها شكوى من سوء الاوضاع السياسية ، انبعثت بهذا الاسلوب لانه آمن عاقبة ، واسلم مغبة .

وفي مطلع القرن العشرين ، يوم وقفت مصر تقارع الاستعمار البريطاني ، لا بسيوفها فحسب بل بتلك القصائد الحماسية التي ارسلها محمود سامي البارودى واسماعيل صبرى ثم حافظ وشوقي وعدد اخر من الشعراء بعد ذلك ، وحين سار الشعراء في سوريا ولبنان على هذا المنوال ، مدفوعين بالعاطفة الوطنية ، وكان في مقدمتهم ولى الدين يكن واليا زجيان وغيرهم ، ولما انبثق الوعى الوطني لدى الشعب التركي في العصر العثماني فانتفض انتفاضته المشهورة ، كان لذلك كله آثار تسرّبت الى العراق . وظهرت في الشعر اول ما ظهرت ، فقام الشعراء ينددون بالدولة العثمانية ، وحين تمّ لبريطانيا ان تبسط نفوذها على العراق ، اتجه الشعراء الى مقارعتها ، والاهابة بالشعب ان يتخلص من سلطانها ونفوذها .

وكان من اولى الصور الادبية التي رسمها الشعراء للنفوذ الاجنبي ، وقيام العراق للتخلص منه بثورته الدامية التي وقعت سنة ١٩٢٠ ، ملحمة شعرية عنوانها "ثورة العراق الكبرى" للشاعر عبد الحميد الراضى ، وقد استوحى احداثها من وقائع هذه الثورة ، ومما يؤخذ على هذه الرواية من الناحية الفنية ، ان المؤلف لم يستطع ان يربط بين الاحداث التي تدور حولها الرواية ،

حتى ان القارئ ليحس ان هناك فجوات يجب ان تملأ ، ولعلّ المؤلف اراد ان يتقيد بنصوص التاريخ على حساب الناحية الفنية في الرواية ، وبالرغم من ذلك كله فان هذه الرواية لم تفقد جدّتها ، وما زالت تثير الوانا من المشاعر والاحاسيس في نفوس العراقيين لانها تذكرهم باول ضربة سجلوها ضد الغرب في التاريخ الحديث ،وكانت بداية الكفاح للخلاص من ذلك النفوذ الاجنبي .

وكان الزهاوى من اكثر الشعراء اعتدالا في نقده للنفوذ الاجنبي وهو حين يتجه الى مقارعة ذلك النفوذ في شعره ، يتخذ منه وسيلة لاستثارة الهمم وتقوية العزائم في اقامة ركن المملكة ، والسير بها نحو الامام ،وما علينا الا ان نقرأ ديوانيه "الاوشال" و"الثمالة" ففيهما يستعرض كثيرا من الاحداث السياسية ، ولكنه لا يقف منها موقف زميله الرصافي ، الذى ينطوى على الشدة والعنف ،بل يقف حيالها بهدوء ورصانة ،وهو اكثر ميلا الى استخراج الخواطر التي تملأ نفسه ، منه الى القاء الحقائق القاء ، وكان اعتداله في موقفه من الانجليز ،والقصيدة التي القاها في الترحيب بالمعتمد السامي والتي عنوانها "عد للعراق"[1] قد جعلت الناس يسيئون الظن به ، ويرمونه بمختلف التهم ،لا سيما وقد سبق له ان مدح الانجليز في العهد العثماني ، بقصيدة عنوانها "ولاء الانجليز"[2] ولعل كره الرجل للاستبداد العثماني هو الذى دفعه الى ان يحبذ

---

(١) ديوان الزهاوى ص ٢٠٢

(٢) الكلم المنظوم ص ١٤ — ٣١٦

للناس حكم الانجليز ، فما كان يخطر بباله "ان حربا عالمية ستقوم ، وان الانجليز سيضعون العراق تحت نفوذهم" (١) كما يقول عن نفسه .

وكان الرصافي خلال هذه الفترة اكثر عنفا واشد تطرفا في نقده للاوضاع السياسية ، ولنستمع اليه وهو يلقي قصيدة في تحية الزائر الامريكي المستر "كراين" اذ ينتقل من الترحيب الى التنديد بالحكومة واتهامها بالخضوع للنفوذ الاجنبي ، وهذه ابيات من تلك القصيدة التي عنوانها "يا محب الشرق" (٢):

واذا تسأل عمّا	هو في بغداد كائن
فهو حكم مشرقيّ	الضرع غربيّ الملابن
وطني الاسم لكن	انجليزي الشناشن
عربي اعجميّ	معرب اللهجة راطن
فيه للايعاز من	لندن بالامر مكامن
هو ذو وجهين	وجه ظاهر يتبع باطن
قد ملكنا كل شيء	نحن في الظاهر لكن
نحن في الباطن لا	نملك تحريكا لساكن

ولا تسل عن وقع مثل هذه التعابير في نفوس العراقيين ، الذين راحوا يعتقدون ان كل صغيرة وكبيرة تدبرها بريطانيا ضد العراق ، لتثبيت اقدامها ، والمحافظة على مصالحها ونفوذها .

---

(١) رسائل الزهاوي : الكاتب المصري ، مجلد ٤ عدد ١٥ سنة ١٩٤٦

(٢) ديوان الرصافي ٤٣٨

ومن الوان هذا التدخل تشكيل الوزارات وسقوطها تحت مؤثرات خارجية ،فهي على زعم الشاعر ، تقوم على مشيئة الانجليز ،ولا ينالها الا من كان محبا لهم ،مخلصا نحوهم :

ان الوزارة لا ابالك عندنا ثوب يفصّل في معامل لندنا
لا يرتديه سوى امرئ اضحى له طبعا وداد الانجليز وديدنا [1]

ولا يكتفي الشاعر بهذا ،بل ينتقل في قصيدته الاخرى "الوزارة المذنبة"[2] من الاجمال الى التفصيل ، يتحوّل من السخرية والتهكم ، الى الثورة والحقد ،ويدير القول فيها على معاني اقرب الى المفهوم الشعبي ،وقد جعلها على صورة حوار يوجه الى الحاكمين حينا والمحكومين حينا اخر ،وهي في روحها تشبه ذلك الهجاء الذي ينطوي على السخرية في الشعر العربي القديم ، ولكن الشاعر يلبسها معاني من المفاهيم السياسية الحاضرة :

دار ذا الدهر مداره فرأى الناس ازوراره

ان ديك الدهر قد با ض ببغداد وزاره
شأنها شأن عجيب قصّرت عنه العباره

حبيت للوطني الحـ ـرّ ان يهجر داره
بيع للاطماع فيها حقكم بيع الخساره
فكأن الحكم والعـ ـدل بها قطّ وفاره

---

(١) ديوان الرصافي ٥٠١

(٢) ديوان الرصافي ٤٦٦

ثم يصف علاقة الوزير بالمستشار فيقول :

كم وزير هو كالوزر على ظهر الوزاره
مقحم لو كان لفظا شخصه كان استعاره
ووزير ملحق كالذيل في عجز الحماره
ذنب اصبح للحكم به اقبح شاره

ادركوا الحق فقد	شنت على الحق الاغاره
لا تسل عنه وزيرا	القوم واسأل مستشاره
فوزير القوم لا يعمل	من غير اشاره
وهو لا يملك امرا	غير كرسى الوزاره
يأخذ الراتب اما	بلغ الشهر سراره
ثم لا يعرف من بعد:	خراب ام عماره [1]

والزهاوى في قصيدته "الغرب والشرق" [2] يلقى نظرة اكثر شمولا من صاحبه الرصافي ،فلا يخص قطرا دون آخر ،ولا يتجه الى دولة دون غيرها ، انما يرسم لنا ذلك الطغيان الذى يصبه الغرب على الشرق ، فالاول مستلب يقظ ، والثاني مهضوم الحقوق نائم عن امره ،والقصيدة قد نظمت بمناسبة وعد بلفور ومن الحديث المعاد القول ان هذا الوعد كان ضربة للامة العربية بمجموعها ،

---

(١) ديوان الرصافي ٤٦٦

(٢) ديوان الاوشال ص ٤ ،وينحو هذا المنحى في قصائده "كان ما لا يكون" و "لا تعيش الشعوب بالاحلام" في ديوان اللباب ٢٧٠ ـ ٢٧٣

ويلاحظ ان الزهاوي يمسك عواطفه ان تطغى في قصائده السياسية ، وقد اشرنا الى ذلك في مقدمة الفصل . وانك لتجد الثورة العارمة في قصيدة للرصافي عنوانها "حكومة الانتداب"[1] ويمهّد لها بقوله انه حين يتكلم عن الحكومة والسياسة فانما يتكلم عن علم وخبرة ، ثم ينتقل الى وصف مظاهرها والحقيقة التي تنطوي عليها تلك المظاهر ، ولنستمع اليه اذ يستهلها قائلا :

انا بالحكومة والسياسة اعـرف	أألام في تغنيدها واعنف ؟!
ساقول فيها ما اقول ولم اخف	من ان يقولوا شاعر متطرف
هذي حكومتنا وكل شموخها	كذب وكل صنيعها متكلـف
غشت مظاهرها وموّه وجهها	فجميع ما فيها بهارج زيّف
وجهان فيها باطن متسـتر	للاجنبي وظاهر متكـشف
والباطن المستور فيه تحـكم	والظاهر المكشوف فيه تصلف

ولسنا نعلم بالضبط السنة التي نظمت فيها تلك القصيدة ، واغلـب الظن انها نظمت في فترة الانتداب ، التي كانت اخصب الفترات فـي حياة الشاعر ، وكان موقفه خلالها يتأرجح بين الشدة واللين ، وهو يسترسل في نقده للاوضاع القائمة ومدى التدخل الاجنبي في شئون البلاد ويصف العلم والدستور ومجلس الامة فيقول :

علم ودستور ومجلس امـة	كل عن المعنى الصحيح محرّف
اسماء ليس لنا سوى الفاظها	اما معانيها فليست تعـرف
من يقرأ الدستور يعلم انه	وفقا لصك الانتداب مصنـف
من ينظر العلم المرفرف يلقه	في غير عزّ بنى البلاد يرفرف

---

(١) ديوان الرصافي ٤٦٣

من يأت مجلسنا يصدّق انه   لمراد غير الناخبين مؤلف
من يأت مطرد الوزارة يلقها   بقيود اهل الاستشارة ترسف

ثم ينظر الشاعر الى جهاز الحكم ، ويصفه قائلا :

افهكذا تبقى الحكومة عندنا   كلما تموّه للورى وتزخرف
كثرت "دوائرها" وقل فعالها   كالطبل يكبر وهو خال اجوف

اما الضرائب فعلى اى وجه تصرف ؟

تجبى ضرائبها الثقال وانما   في غير منفعة الرعية تصرف

وما موقف الحكومة من ابناء الوطن والدخلاء ؟

حكمت مشدّدة علينا حكمها   اما على الدخلاء فهي تخفف

ولا يريد الشاعر ان ينتهى الموضوع قبل ان يحدّد من هم الدخلاء ، وقبل ان يرسم السبيل للتخلص منهم :

للانجليز مطامع ببلادكم   لا تنتهي الا بأن تتبلشفوا

ودعوته هذه اكثر وضوحا في قصيدة عنوانها "الى العمال" (١).
ويتفنن الشعراء في وصف الفئة الحاكمة ، وعلاقتها بالنفوذ الاجنبي ، ولنستمع ما يقوله الجواهرى في ذلك :

واصنام بغى يصبّونها   ويدعونها مثلا يقتدى
يثيرون من حولها ضجة   بها عن مخازيهم يلتهى
فهذا سيمضى وهذا مضى   وهذا سيأتي وهذا أتى

---

(١) ديوان الرصافي ١٨٠

وهذا "زعيم" لان السفير   يرنوا اليه بعين الرضـــا
وفي ذاك عن سخط اهل الـــــبلاد على حكمه اورضاهم غنى [١]

ومثل هذا النقد العنيف نجده في قصيدة "نهضة الشرق"[٢] و"غضبة شاعر"[٣] فقد صوّر الحكم الوطنى بانه طلاء سرعان ما يتلاشى اذا مرّت عليه فترة من الزمن ،وها نحن نقتطف ابياتا من القصيدة الثانية للشاعر محمود الحلاج التي يعرض فيها هذه الصورة :

اكل ضحى نرى في الامرنتقا	وتطليه السياسة بالشحـــوم
فلا يأتي عليه الظهر حتــى	تجلّى الشحم عن حال وخيم
يقيم مكانه حتى غـــــداة	ويظهر اخر غير المقيـــــم
الى ان صار كالغربال حكم	مهرّى السترممزوق الاديم

وفي قصيدة "الحرية في سياسة المستعمرين"[٤] يسلك الشاعر طريقـة اصحاب البلاغة في خروج الامر الى التهديد ، فيوجه نداءه الى قومه الا يتكلموا والا يستيقظوا من سباتهم العميق للحاق بموكب الحياة ، وان يتركوا احاديث السياسة ، والا ينتظروا العدل ، واذا رأوا الحقائق تموّه ، فما عليهم الا ان يقرّوا بهذا التمويه ،ولا بـــأس ان نورد ابياتا من تلك القصيدة :

---

(١) ديوان الجواهرى ٣/ ٢٤٣
(٢) جريدة البلاد ٢٠/ ١٩٢٩
(٣) جريدة البلاد ١/ ١٩٢٩
(٤) ديوان الرصافي ص٤٥٠

يا قوم لا تتكلموا ان الكلام محرّم
ناموا ولا تستيقظوا ما فاز الا النوم
وتثبتوا في جهلكم فالخير ان تتعلموا

اما في قصيدته "غادة الانتداب"[1] فقد دار الحديث عن واحدة من النساء المبتذلات قد اثقلت بالحلى ولونت بالخضاب ثم ينتهى الى تشبيهما بالحكومة ،ويتابعه في وصفه هذا الشاعر محمد صالح بحر العلوم في قصيدته "الانسة"[2] وقد سلك كل منهما الاسلوب القصصي. وكثيرا ما ينتهز الشعراء حفلات التكريم للتنديد بالحكومة وبخضوعها للسلطان الاجنبي ، ومن امثلة ذلك قول الرصافي في قصيدة يحيى بها الريحاني :

من اين يرجى للعراق تقدم وسبيل ممتلكيه غير سبيله
لا خيرفي وطن يكون السيف عند جبانه والمال عند بخيله
والرأىعند طريده والعلم عند غريبه والحكم عند دخيله
وقد استبد قليله بكثيره ظلما وذل كثيره لقليله [3]

وقد اطلق لفظ"الدخلاء" على الذين ليسوا من اهل البلاد والذين لا يحرصون على مصالحها ،فنعى الشعراء على الحكومة تسليمها الوظائف بايديهم ،واهمال ابناء البلاد ، وهذه الفكرة لعبت دورا عظيما في الحياة السياسية العربية منذ قيام الحكم الاسلامي حتى نهاية العصر العباسي ، ثم تجدّدت في عصرنا الحاضر،

---

(١) ديوان الرصافي ص ٤٥١
(٢) مجلة ا/ ٦ تف ٦١ / ١٩٢٧
(٣) ديوان الرصافي ٤٢٧

ولنستمع الى احد الشعراء في قصيدة عنوانها "بلية الدخلاء"[١]:

كيف النجاة وها الاذناب قد دخلوا قطر العراق فان القلب مشتعل
لوكان نفعهم يرجى لما تركوا دارا لهم تبتنيها للغنى الدول
كم قد صرخنا الا يا قوم فارتحلوا كم قد كتبنا ولا ينتابهم خجل

ومثل هذا تقرؤه في قصيدة "نصيب ابناء الوطن من مناصب البلاد"[٢] و"الدخلاء"[٣] وكلتا هما من الشعر العامي للشاعر عبود الكرخي ،

ونظام الاستشارة من مظاهر هذا النفوذ الاجنبي ،وقد وضع في عهد اول وزارة وطنية وقبل ان تعقد اية معاهدة بين الطرفين المتحالفين ،على ان منشورا اصدره المندوب السامي سنة ١٩٢٠ قد حدّد فيه وظائف المستشارين ، ولكن هذا النظام كان موضع نقد وهجوم ولنستمع الى بيتين من قصيدة "الاستشارة في نظر شاعر"[٤] لمحمود الملاح :

ما لم تنل من مستشار حظوة من بعدها كل الامور تهون
لا تخش حينئذ حكومة حاكم ابدا فانت على الحياة امين

---

(١) جريدة الاستقلال ٤٤٦/ ١٩٢٤
(٢) ديوان الكرخي ص٨٦
(٣) جريدة الكرخ ٤٧/ ١٩٢٧
(٤) جريدة البلاد ١٨١/ ١٩٣٠

اما الرصافي فتثيره ذكرى فقيد الوطن "عبد المحسن السعدون"[1] الذى كان رئيسا للوزارة ثم انتحر لانه لم يستطع ان يوفق بين رغبات الانجليز ومطالب الوطنيين ،فيرى الشاعر ان النفوذ الاجنبي لم يكن سافرا ، انما هو كامن وراء "المشورة" يبعث الرعب والهلع، ويثير البغي والعدوان تحت ستار النصح :

يا اهل لندن ما ارضت سياستكم	اهل العراقين لا بدوا ولا حضرا
ان انتدابكم في قلب موطننا	جرح نداويه لكن لم يزل غبرا
وللمشورة في اوطاننا شبح	تخيف صورته الاشباح والصورا
يجول في طرقات البغي مختفيا	للغش خلف ستار النصح مستترا[2]

ومن الابيات السائرة التي تجرى مجرى للامثال ،قول السيد باقر الشبيبى ، من قصيدة له ، يتهكم فيها من وزير اصبح العوبة بيد المستشار، فاذا اصيب الاخير بسكر ،انطلق الاول يعربد كانه هو الذى احتسى الخمرة :

المستشار هو الذى شرب الطلا	فعلام يا هذا الوزير تعربد ؟
احكومة والاستشارة ربها	وحكومة فيها المشاور يعبد [3]

ويعيد الرصافي الكرّة من جديد ،ويدير الفكرة في اسلوب اخر ،يعمد فيه الى تشبيه الوزير بالنورة التي لا تؤثر ، والمستشار بالزرنيخ ذى المفعول القوىّ ، والشاعر يستمد تشبيهه هذا من الادب الشعبي ،

---

(١) اقرأ وصيته في الوزارات العراقية للحسنى ٢/ ٢٨٥

(٢) ديوان الرصافي ٣٢٢

(٣) جريدة العالم العربي ١٤٨٥/ ١٩٣٠

ثم يفرغه في قالب فصيح :

الا بلغوا عنى الوزير مقالة ... له بينها لو يخجل توبيخ
اراك بحمّام الوزارة نـورة ... واما جناب المستشار فزرنيخ [(١)]

وتبلغ الثورة اوجها في شعر الجواهرى ،الذى قلما تخلو قصيدة من قصائده من تلك الثورة العارمة ، اذ يحشد ما يستطيـع من تعابير السباب والشتم ، حتى ليخيل للقارئ انه يكاد يتفجـــر غيظا ،وبعد ان يصف الفئة الحاكمة مختلف الاوصاف ينتهي الى القول بانها "مأجورة" وهو يكرّر هذا القول اكثر من مرة في قصائده :

وكيف يسمع صوت الحق في بلد ... للافك والزور فيه الف مزمـار
يأيها السائح المجتاز اوديـة ... مشى الربيع عليها مشي جبار
محص بعيني نزيه غير ذى غرض ... حال العراق وخلده باسفار
ان القصور التي شاهدت قائمة ... على اساس من الاحجاف منهار
انظر الى الكوخ قد بيعت دعائمه ... وحولوها لاقراط واسوار
وثلة من دعاة السوء ساقطـة ... ليست بشوك اذا عدّت ولاغار
مأجورة لم تقم يوما ولا قعدت ... الا على هتك اعراض واستار [(٢)]

وفي قصيدة للرصافي عنوانها "بين الانتداب والاستقلال "[(٣)] يندد

---

(١) ديوان الرصافي ٥١٦
(٢) ديوان الجواهرى ١/ ٣٠
(٣) ديوان الرصافي ص ٤٧١

الشاعر بمستشار وزارة الداخلية فيقول :

سل الانجليزى الذى لم يزل له … بدست وزير الداخلية مقعد
أأنت وزير ام عميد وزارة … نراك اليها كل يوم تردد ؟

ولما كان النفط اهم الاهداف التي يتذرع الاجانب للوصول اليه بمختلف الاساليب ، ولا نرى حاجة الى اعادة قصته من جديد ، وكيف انه هو الذى وجّه انظار الغربيين نحو الشرق منذ زمن مبكر للوصول اليه ، ثم التنافس الذى قام حوله ، لما له من اهمية كبرى في عالمي السياسة والاقتصاد ، فقد اطال المؤلفون الحديث عن كل هذا ، وعالجه الكتاب من وجهات نظر متعددة ، ففي قصيدة للشاعر عدنان الراوى لفت فيها الانظار الى الحيف الذى يحيق باهل البلاد ، لتسرّب هذه الثروة دون الحصول الا على نزر يسير منها ... انها دفقات الذهب للقائمين على استخراجه ، اما اصحابه فانهم يعيشون على ارضهم كالعبيد ، في فقر وذل :

لمن تلكم النار ذاك اللهب … لمن تلكم (القنوات الحديد) ؟
نمدّ بها دفقات الذهب … ونبقى على ارضنا كالعبيد
ونشقى ونهتف نحن العرب … ونحيا على صرخات القيود
نريد الفكاك ونحن السبب

ثم لا يلبث الشاعر ان يهتف بالدعوة الى الثورة على هذا الوضع ، فالنفط حق مغتصب ولا بد من اعادة الحق الى ذويه ... انه يدعو في ثورته الى ان يحيل ذلك السائل لهيبا ويفرغ ما في تلك الانابيب حتى تصبح قشورا خاوية ، وحتى يتحوّل السؤال عن (القنوات الحديد) الى اللهب المتصاعد ، والنار المتقدة ، والقنوات

القشور :

سنحرق نفط البلاد الغزيـــر ونجعله (حقنا) المغتصب
ونجعله من دخان النفــــير غداة نصّب عليه الغضـــب
ويبقى يسائل حين نشــور لمن تلكم النار؟ ذاك اللهب؟
لمن تلكم القنوات القشو ر (١)

وفي قصيدة اخرى عنوانها "عبث الجراد" للشاعر غربى الحاج احمد ، ينعى فيها على القائمين بالامر انهم "جادوا بالنفط" وهو يريـــد بذلك انهم تساهلوا في المفاوضات وخضعوا لمشيئة الاجنبي ، عنــد ابرامهم اتفاقية النفط :

قل للوزير المستبد برأيه ما لي اراك على الضلال عجولا
اقسمت الا ان تجود بنفطنا حاشا لمثلك ان يكون بخيـــلا (٢)

ثم تأخذه الدهشة لهذه الاساليب العجيبة من الحكم فيختم القصيدة قائـــلا :

صور من الحكم الحديث عجيبة يا سحرها لو فصلت تفصيلا

وان الاحداث الكبرى التي انعكست في الشعر السياسي كانت لـــها عوامل مختلفة ، ولكن الصراع بين النفوذ الاجنبي ، وارادة التحـــرّر ،

---

(١) من قصيدة "النفط الملتهب" لعدنان الراوى : من الشعر القومي
(٢) من مجموعة ارسلها الي الشاعر

كانت في الغالب تدور حول النفط ، لا سيما في ممالك الشرق الاوسط "....واما السبب في هذا المركز الممتاز الذى يحتله الشرق الاوسط من مواطن الاهتمام والعناية في السياسة الدولية فلن يعود الى كونه بقعة ستراتيجية فحسب ،او منطقة اختارتها السياسة العسكرية للدول الكبرى في معسكريها الغربي والشرقي ، لخطتها الدفاعية والهجومية عند قيام حرب فيما بينها ... ان الاهمية الصحيحة ، هذه الاهمية التي اوجدت اعنف لون من الوان الصراع بين بريطانيا والولايات المتحدة من جهة وكانت السبب الفعال في شطر العالم خلال الحرب الكونية الثانية الى غرب وشرق من جهة ثانية ،انما يعود لكونه اضخم خزان من الخزانات العالمية للنفط ومشتقاته ." (١)

وراح فريق من الشعراء يتهم الاجنبي بان استغل الثقافة لتثبيت نفوذه وراح يشايعه فريق من ابناء البلاد اذ يستخدم الثقافة لاغراضه ،ويتخذها سلما للوصول الى مآربه الشخصية ، وهو حين يتظاهر بها لتغطية ما في نفسه من نوايا ، وما يقوم به من اعمال مريبة تثير على الشفاه ضروب الاسئلة ومنها : أخابر ام مخبر ينقل اخبار الناس واسرارهم ؟

باسم الثقافة يدلف ههنا   وهنا مريب خطوه مستنكر
يتساءل الجمهور عنه : أخابر   جاب الحياة مثقفا ام مخبر؟

ثم ينتقل الشاعر الى وصف نفر آخر من المثقفين ، الذين يمهدون

---

(١) جورج فرح : اسرار السياسة الدولية في الشرق الاوسط ص٩ .

السبيل امام الاجنبي باسم الثقافة :

ومثقف باسم "العلاقة" بينهم	يستعمرون ، وبيته يستعمر
ارخى العنان وراح يورد نفسه	في أىّ ماء يوردون ويصدر
"مختيمس" يرمى البلاد بمنهج	منه المياه التيسمية تقطر
ومثقف صعد السلالم مقعدا	مثل الجواد على الحواجز يطفر
بزّ النظائر وهو احدث منهم	وشأى العباقر وهو اجوف يصفر
القى له الدستور رحب خوانه	ما شاء من الوانه يتخيّر (١)

ولا حاجة بنا الى التعليق على ختام القصيدة ،اذ يرى الشاعر ان سلوك فريق من المثقفين هذا الطريق يوصلهم الى المناصب قبل غيرهم ،ويفسح امامهم مجالات ارحب من تلك التي امام الاخرين .

ويلاحظ ان هذه القصائد التي نظمت في التنديد بالنفوذ الاجنبي ، كان معظمها وليد الصراع من اجل حرّية الوطن ،وبعضها وليد الاوضاع الاجتماعية المنطوية على البوءس والشقاء ،اما تعليل هذه الحالة ،فان النفوذ الاجنبي يقف حائلا دون كل اصلاح اجتماعي ، تلك هي الفكرة التي سيطرت على العقول ،واوحت بهذا اللون من الشعر احيانا ، فقد خيّل الى الناس ان ذلك التأثير الخارجي لم يكن سافرا ،انما يعمل من وراء ستار .

اما العناصر الفنية في كثير منها ،فانها تظهر في تلك التجارب الشعورية التي يحياها الشعراء ،وهم يشهدون امتهم عن كثب – في كفاحها الدامي ضد الغاصبين ، وانك اذ تقرأ القصائد

---

(١) ديوان الجواهرى ، من قصيدة "الى الشعب المصرى" ٣/ ٧

التي نظمت في رثاء السعدون ، وفي ذكريات الثورتين العربية والعراقية ، وفي المناسبات التي طغى فيها النفوذ الاجنبي ، تحسّ بما تمتلئ به من عواطف جياشة ، والام متدفقة وحقد على الغاصبين .

اما بنيان القصيدة فانه لم يطرأ عليه تغيير في هذه الفترة ، فالاساليب والاوزان والبحور التي جرى عليها الاقدمون ، كانت رائد المحدثين منهم ، وان كان ثمة جديد في هذا الشعر ، فهو الموضوعات التي لم يألفها الادب العربي من قبل ، والمعاني والافكار ، التي استمد كثير منها من المبادئ السياسية الحديثة ، ومن المفاهيم القومية التي سادت بعد اندلاع الثورة الفرنسية في اوربا وانتشار آثارها الى الشرق كما اشرنا .

وان الظروف التي لابست نظم هذه القصائد ، كان لها اثر كبير في رواجها ، وما يدريك لعلّ زوال النفوذ الاجنبي في حياة الشرق الاوسط ، ونيل الاستقلال التام الذى لا تقيّده المعاهدات والاحلاف ، وانطلاق الحكومات تستوحى مصالح شعوبها ، وتعمل لخدمة بلادها ، لعلّ ذلك كله يجعل الشعراء يجوبون في ميادين اخرى من الشعر ، غير مقارعة النفوذ الاجنبي ، الذى لن تعود ثمة حاجة الى مقارعته والتخلص منه .

الفصـــل الثانـــي

بدايـــة الاستقـــــلال

١٩٣٢ ــ ١٩٣٩

١ ــ العراق وعصبة الامم

اشرنا في الفصل السابق الى سلسلة من المعاهدات بين العراق وبريطانيا ،نصت الاخيرة منها على الاستقلال التام ومهّدت امام العراق الطريق ليصبح عضوا في عصبة الامم ، بصورة رسمية فتم هذا الامر باعتراف جميع الاعضاء البالغ عددهم اثنين وخمسين ، وبذلك زال اول انتداب من انتدابات ثلاث فرضتها معاهدة سان ريمو . وقد قبلت اللجنة المختصة العراق بناء على المعلومات التي توافرت لديها ، من انه قد اصبح ذا حكومة مستقرة وادارة قادرة على تسيير شئون الحكومة الجوهرية وان في استطاعته المحافظة على الامن العام في القطر كله ولديه مصادر مالية كافية لسد حاجة الحكومة الاعتيادية بصورة منظمة ،وله قوانين ونظام قضائي فيها ما يضمن العدل المطرد للجميع على السواء .

ويرى فريق من المؤرخين ان العراق قطع شوطا لا يستهان به في هذه المرحلة ، فقد سوّيت قضية الموصل ،تلك الولاية التي كانت مهددة بالانفصال والالتحاق بتركيا ، التي الحت في المطالبة بها ، وهدأت ثورات العشائر التي كانت مستعرة

الاوار بين حين واخر ، وتقدم الجيش بتدريبه وعدده اذ اصبح قادرا ان يرد غارات المغيرين ، وحلت مشكلة الاراضي وتمت تسوية الديون العامة التي كان العراق ينوء تحتها ، كما حلت مشاكل العراق مع جيرانه .(١)

ولكن المعارضة يشايعها عدد من الكتاب والشعراء ، لم تر في هذه الفترة من الحكم الوطني ما يحمل على التفاؤل والاستبشار في المستقبل ، ولنستمع في ذلك الى احد كبار الكتاب وهو السيد فهمي المدرس ، اذ كتب في مقال له عنوانه : "الحكومة الوطنية والعقد الاول من حياتها "(٢) ما نصه : "... مضى على تأسيس الحكومة الوطنية عشر سنوات وليست السنوات العشر بالزمن القصير ... واذا ما تصفحنا تاريخ هذا العقد الثمين لم نجد مما نسجل بين دفتيه سوى امور اقل ما يقال عنها انها مدعاة للاسراف في الوقت وفي المال ،ومجلبة للذلة والمسكنه واماتة الشعور وسلب الارادة الذاتية وجزء الاختيار ، ومن وراء ذلك براعة التمثيل بالشعب والتشهير به ، وتصويره بصورة الطفل الصغير المقعد الناقص الخلقة ،العاجز عن التمييز بين الخير والشر".

والكاتب حين يلتفت الى ذلك الماضي ،لا يرى فيه غير الخيبة والخسران ،فاذا مدّ ببصره نحو المستقبل ،لا يرى فيه الا

---

(١) Longrigg: 176

(٢) جريدة الاستقلال ١٣ حزيران / ١٩٣٠

امتدادا للماضي ،وصورة له ، وان اختلف ظاهرها فان الحقيقة واحدة في كلتا الحالين ،وقد صور الجواهرى هذا الوضع في قصيدة عنوانها "عقابيل داء "(١) وقال عنها انها "نظمت سنة ١٩٣٤ وكانت الحالة السياسية على اشد ما تكون توترا واضطرابا " وانك تلمح الثورة التي تمتلىء بها القصيدة حين تقرأ اول بيت منها ، اذ يفاجئك بقوله :

عقابيل داء ما لهن مطبب ووضع تغشاه الخنا والتذبذب

ثم ينتقل الى النظم القائمة والقوانين التي استخدمت في ايدى فئة من الناس ،وكيف ان الذين يخونون ويكذبون قد نالوا امانيهم :

ومملكة شأن المشيئات امرها وانظمة يلهى بهن ويلعب
وناهيك من وضع يعيش بظله كما يتمنى من يخون ويكذب

ثم يأخذه العجب من الشباب السادر ،الذى لا يتحفز للثورة على الظلم والشيوخ الذين لا يوجهون الشباب :

اقرّ على الضيم الشباب فلم يثر واخلد لو يسدى النصيحة اشيب
كأن لم يكن في الرافدين مغامر وحتى كان لم يبق فيه مجرب

والشاعر يطيل وقوفه ،وكانه يريد ان يترك الحديث دون ان يرى ثورة تطيح بالاشلاء ، ثم يعود فيعرض صورا مثيرة من البذخ والنعيم الى جانب الفقر والشقاء ،الى ان يقول :

---

(١) ديوان الجواهرى ١/ ٤٥

ينفذ ما تبغي وتنهى "عقائل"　　　وتعزل فينا "غانيات" وتنصب
كأندلس لما تدهور ملكها　　　تمكّن جزافا عندنا وملقب

والشاعر محمود الملاح ينظر الى الاوضاع ، تلك النظرة نفسها فيقول :

لقد بان عهد الهزل واقترب الجد　　　ومامفلح قوم سياستهم نـرد
تململ جسم الشرق بعد هجوعه　　　حليف قماط ملّ ضجعته المهد

ثم يلتفت الشاعر الى السنوات العشر التي قضاها في العراق في ظل الانتداب ، الذى كان السبب في تأخره عن اللحاق بموكب الحياة ، فبينما قطعت امم كثيرة اشواطا واسعة في مجال الرقي والتقـدم اخذ العراق بالتقهقر ، واضاع وقته وجهده في الجدل الذى لا طائل تحته :

سوى ان اقليم العراق مذبذب　　　الى الخلف من دون الاقاليم يرتد
بذمة هذا الدهر عشر تصرّمت　　　اضاع بها اوقاتنا الاخذ والـرد (١)

ومن الناحية الاخرى ،كان الامل يلوح احيانا ،في مستقبـل زاهر ينتظر البلاد ، بعد ان ازيح عنها كابوس الانتداب ، فقد تحوّلت من حالة الى اخرى حين نالت الاستقلال ،فهي تستطيع ان تخطو خطوات سريعة نحو التقدم والمجد . وهنا لا بد لنا ان نعيد القـول من ان وجود الملك فيصل الاول هو الذى كان يوحي بالتفاؤل ، فان المساعي التي كان يبذلها ، كانت تبشّر بنتائج هي في خير البلاد ، وكما ظهرت آثار جهوده في الاصلاح الداخلي ،كذلك ظهرت آثارها

---

(١) من قصيدة لمحمود الملاح عنوانها "نهضة الشرق وحظ العراق منها" نشرت في جريدة البلاد في ٢٨ آذار سنة ١٩٣٠ .

في الحقل الخارجي . وللشاعر مهدى الجواهرى قصيدة عنوانها "غاب الاسود ، جنيف" [١] يشير فيها الى ما بذله من الجهود في سبيل تحقيق اماني الوطن ، وضمان استقلاله كما نصت عليه المعاهدة : ويستهلها بقوله :

لقيت عقبى الجهد والاتعاب	ونزلت خير محلة وجناب
ورحلت، خير مودع عن موطن	حاميت عنه وابت خير اياب

ثم ينظر الشاعر الى ما مضى من ايام الوطن ، ويرى انه قد وصل الى مرحلة الخراب فقد وقف متعبا ينوء بما يحمله من اوجاع واعباء ثقال ، حتى تداركه الملك ولكنه يريد ان ينال الوطن اكثر من هذا :

لم تبق لولا فرط عزمك ريبة	ان العراق يسير نحو تباب
حتى وقفت به يمد لهاثه	تعبا من الاثقال والاوصاب
لا ادّعى ان قد اتم نموّه	من كان امس بشكل طفل حاب
فلتلك ليست بالبعيد منالها	عن كل شعب طامح وثاب
لكن اقول اريته مستقبلا	لا بالعديم سنا ولا بالخلّاب

والشاعر يريد ان يسلك طريقا وسطا ، فهو لا يشجب السياسة السلبية ويرى انها لو اثمرت لكانت خيرا من التفاهم والسياسة الايجابية :

اليوم يوم تفاهم بالرغم من	انى احب تطاحن الاحزاب
وسياسة سلبية لو اثمرت	فيها نجاح رغائب وطلاب

---

(١) انظر ديوان الجواهرى (طبعة ١٩٣٥) ص ١٠٦

انظر الصفحة التالية رقم ٦٧

وخيانة الا يقدّر مخلص   تدعو سياسته الى الاضراب
لكن اذا لم تبق الا ميتة   اواختها فسياسته الايجاب

وتلمس حيرة الشاعر واضطرابه وقلقه حين تقرأ له القطعة الاخيرة فهو لا يدري ايهما افضل اهي طريقة التفاهم ، ام نيل الحق بالقوة .

وللشاعر نفسه قصيدة عنوانها "بشرى جنيف" (١) وهي موجهة الى الملك فيصل الاول بمناسبة قبول العراق في عصبة الامم :

مرحبا بالمتوج الغطريف   حاملا للعراق بشرى جنيف
ناهضا بالثقيل من عبء هذا   الوطن النكد عابئا بالخفيف

ذلك ان الملك فيصلا كان يشرف على المفاوضات آنذاك ،وقد اظهر من الذكاء والحنكة ما اثار اعجاب الاخرين :

بهر الساسة الدهاة حصيف   ذائع الصيت بين كل حصيف
لامع في صفوفهم تقع العين   عليه من دون من في الصفوف
لمسوا منه في التصافح كفا   لم يروا مثل وقعها في الكفوف

ثم يستأنف وصفه للمدوح بانه لا تشغله المشاغل عن شئون بلده وتدبير السياسة فيه ، وانه يتصف بالرقة واللين :

متعب الذهن بالسياسة لا   ينسيه اثقالها جمال المصيف
ترك العنف مااستطاع قدير   ان يروض النفوس بالتلطيف

---

(١) ديوان الجواهري (الطبعة الثانية) ص ٢٧٥

وهكذا كانت تلك المعاهدات من ملهمات الشعر لدى بعض الشعراء .

وفي هذه الفترة توفي الملك فيصل الاول في سكتة قلبية فاجأته وهو في (برن) عاصمة سويسرا ، وكان لنعيه اثر واضح في الشعر ، فقد كان فيصل يرعى الشعراء ، ويشجعهم ،كما كان يفعل الخلفاء من قبل ، هذا بالاضافة الى انه كان لا يضيق ذرعا بالنقد فطالما وقف الشعراء ينددون بالحكومة ويعرّضون به ،فلا ينالهم اذى ولا يمسهم ما يكرهون .

وقد تركت وفاة العاهل صدى عظيما لا في الشعر العراقي فحسب ، بل في الشعر العربي كله ، ذلك ان العرب كانوا يعلقون عليه آمالا جساما في بناء الكيان العربي ، وبعثه من جديد ، لذلك كانت حفلات التأبين التي اقيمت له مهرجانات رائعة ، تبارى فيها الشعراء ، من مختلف اقطار العالم العربي ،في اظهار شعورهم بالكارثة ، ومن الصعوبة الاحاطة بكل القصائد التي نظمت في رثاء الملك الراحل ،وقد اشار الاستاذ انيس المقدسي في كتابه الاتجاهات الادبية [(١)] الى بعضها ،اما شعراء العراق فان الرصافي قد الف قصيدة عنوانها "في يوم ابي غازى" [(٢)] فيها وداع للملك الراحل وترحيب بالعاهل الجديد ،ونظم الزهاوى "مات فيصل فليعش غازى" [(٣)] و"في موقف التأبين" [(٤)] و"الفجيعة" [(٥)]

---

(١) ج ١ ص١٤٩

(٢) ديوان الرصافي ٣٣٦

(٣) انظر ديوان الزهاوى الاوشال ٢١٨

(٤) و(٥) ديوان الزهاوى الاوشال ٢٢٠، ٢٢٦

وهناك مجموعة من المراثي لشعراء سوريين عنوانها " فيصل ملك العرب ". (١)

٢ ـ ازمة الحكم

في يوم الخميس الموافق ٢٩ تشرين الاول سنة ١٩٣٦ ، القيت على بغداد عدد من القنابل ، بطائرات عراقية ، كما وزعت مناشير ، موقعة بتوقيع القائد بكر صدقي ، طلب فيها اقالة الوزارة القائمة آنذاك والتي كان يرأسها السيد ياسين الهاشمي ، واقامة وزارة اخرى غيرها برآسة السيد حكمت سليمان ، وقد تمّ هذا الامر بعد ثلاث او اربع ساعات من هذا الطلب ، اذ استقالت الوزارة ، وحلت غيرها محلها كما يعينه المنشور .

لقد كانت هذه الحركة بداية لسلسلة من الحركات مثلها ، وكان لها اثر سيء في الحياة الديموقراطية للعراق ، لانها جعلت القوة وسيلة للحكم ، كذلك كان لها الاثر نفسه على الحياة الفكرية ، ففي مثل هذه العهود يدور الادب في افق ضيق ، لما يفرض عليه من قيود .

ولعل اول بيان (٢) اصدره رئيس الوزراء ، ما يكفي

---

(١) جمعها عبد الجبار الرجبي وطبعها في دمشق سنة ١٩٣٣ .
(٢) اقرأ هذا البيان في جريدة البلاد الصادرة في ٣٠ ت١ سنة ١٩٣٦ ، وانظر البيان الاخر في الجريدة نفسها ١ ت٢ سنة ١٩٣٦ .

للدلالة على التدخل السافر الذى قام به الجيش في الحيـــاة السياسية آنذاك فقد تذرع بالمعاذير المختلفة لاقامة حكم يستمـد سنده من القوة ، لا من ارادة الشعب ، كما اخذ يتذرع بالكشف عن مساوىء العهد الماضي ويقوم بحملة واسعة من الدعاية للحكم الجديد ،ولكن ذلك كله كان ذا اثر محدود في توطيد اركان هذا الحكم .

" وكان من الطبيعي ان يسلك الفريق بكر صدقي سلوكا لا يلائم احوال العراق السياسية ،ولا يتفق مع تقاليده الدستورية ، وان يقوم على امور لا يمكن لاية وزارة ان تقرّها ، لانه لم يكن ملما في الامور السياسية ولا يعرف غير القوة سندا ". (١)

ويرى الدكتور خدورى : ان تركيز السلطة في زمن ياسين الهاشمي ، وقد كان الملك فيصل يدعو الى الاعتدال في ذلـــك — كان من نتائج تركيز هذه السلطة امن قوى الجيش فاصبح قادرا على ان يخمد اىّ عصيان تقوم به القبائل ضد الحكومة . وفي هذه الفترة حدّت حريات الناس وذلك باخضاع جميع المؤسسات الوطنية للقوة التنفيذية ... وقد اسكت المعارضون السياسيون وحدّت حرية الصحافة . (٢)

---

(١) الحسنى : تاريخ العراق السياسي الحديث ٣/ ١٦٨

(٢) Independent Iraq, 69-70

وهكذا نان هذه الحركة قامت تعالج الداء بالداء ، فبدلا من ان تسلك اسلوبا ديموقراطيا ، مالت الى غيره من اساليب الحكم .

وكما ساهم الشعراء بمعالجة سائر الاحداث التي المت بالبلاد ، فقد ساهموا بهذه الحركة ، التي كانت الاولى من نوعها في تاريخ العراق الحديث ، ووقفوا ازاءها كما وقف غيرهم بين مؤيدلها يرى فيها الخير للامة ، وبين معارض لها يرى انها قد انطوت على الكيد والمكر ، ومن امثلة هذا الاتجاه قصيدة للشيخ علي الشرقي عنوانها " محنة الاخلاص " (١) وفيها ينعى على القائمين بالحركة بغيهم ، وهو يستهلها بما يأتي :

يا محنة الاخلاص في اهدافنا	من ذا يلطّف محنة الاخلاص ؟
شرٌّ من الاقفاص يا احبابنا	اصغاؤكم لبلابل الاقفاص

ثم يشفق على الحرية المأسورة :

اشفق (لها) حرية مأسورة	طيرا يرفرف في يدى قنّاص

اما الشعراء الذين ذهبوا يحيون هذه الحركة ويباركون اهدافها ، فقد اتجهوا في الغالب ينظرون الى العهود الماضية من الحكم ، وما انطوت عليه من المساوئ ، ثم يبررون قيام هذه الحركة على انها ستقوم على انهاض البلاد ، وازالة ما تقاسيه من محن وازمات ، وذهب بعضهم يسلك الاساليب القديمة في تحيته للحركة

---

(١) ديوان عواطف وعواصف ص ٢٠٥

الجديدة ، اذ يوجه تهانيه الى قائدها والى الجيش الذى قـام بها ، ولكن الشاعر بحر العلوم يرى في قصيدته "ثورة الانقلاب"[١] ان هذه الحركة كانت وليدة الاضطهاد لازمان طويلة مرّت بالعراق ، لا في عصره الحاضر ، بل في ماضيه السحيق :

اذا استفحل الشرّ في امـة	تفتح في خيرها الف بـاب
وتلك خطايا مئات القرون	تولّد في الحال منها الصواب
ولولا ازدياد عتوّ الطغاة	وحمل النفوس على الاضطراب
لما انفجرت (حكمة)[٢] المخلصين	ولا اندلعت ثورة الانقـلاب

وفي قصيدة عنوانها "ذكرى الماضي الاسود"[٣] لمحمد رضـا الخطيب يستهلها بقوله :

شكوت من الاوطان والاهل غربة	وبعدا به اصبحت جم التراجم

ويلقى الشاعر نظرة الى الماضي وما امتلأ به من آلام واوزار، ثـم يعرج الى الحاضر الذى كان بداية الانطلاق ،ثم الى المستقبـل المشرق ،ومثل هذه المعاني يديرها شاعر اخر هو احمد رضـا

---

(١) ديوان العواطف ص ١٤١

(٢) حكمت سليمان رئيس الوزارة

(٣) جريدة الانقلاب ٧ ك٢ / ١٩٣٧

في قصيدته "كان الانقلاب" (١) ونلمس هذا الاتجاه نفسه في قصيدة عنوانها " قبل الانقلاب وبعده" (٢) وهذه بعض ابياتها :

لا رعاه الله عهدا باد في الدهر اناسه
رفع العبد به رأسا وطاطا الحر رأسه
قد قضيناه ببؤس وشقاء وتعاسه
ولقد كنا نعاني فيه انواع الشراسه
ونقاسي من بني الجور اعتسافا وشماسه
يوم كنا ننشد الحق لكي نبني اساسه

وقد شارك الجواهري في تأييد هذه الحركة بقصيدة عنوانها "تحرك اللحد" (٣) منها :

وثم شرذمة القت لها حجبا من طول صفح وعفو فهي تستتر
انى اصارحك التعبير مجترئا وما الصريح بذي ذنب فيغتفر
ان السماء التي ابديت رونقها يوم الخميس (٤) بدا في وجهها كدر

---

(١) جريدة الانقلاب ٧ ك٢ سنة ١٩٣٧

(٢) جريدة الانقلاب ٢١ ك ٢ سنة ١٩٣٧

(٣) ديوان الجواهري ١٥٧/١ ،واقرأ في هذا المعنى قصيدة "يا نفس" لعبد القادر الزهاوي (جريدة الانقلاب ١٧ آذار سنة ١٩٣٧) وقصيدة "الانقلاب" لصادق الاعرجي و"نشيد الجيش" لحبيب العبيدي (جريدة الانقلاب ٢ نيسان سنة ١٩٣٧)

(٤) وهو يوم الانقلاب

تهامس النفر الباكون عهدهم ان سوف يرجع ماضيهم فيزدهر
تجرى الاحاديث نكراء كعادتها ولم يرع سامر منهم ولا سمر

وتراه هنا يقف موقف المندّد بالخصوم طالبا اليقظة والحذر ، من ان يقوموا بامر ،لا يتفق مع اهدافها ومراميها ،ويخيّل اليك ان الهواجس تملأ نفس الشاعر ،فيطلب الى القائمين بالامر محاسبة الذين اساءوا واجترحوا :

فحاسب القوم عن كل الذى اجترحوا عما اراقوا وما اغتلوا وما احتكروا
للان لم يلغ شبر من مزارعهم ولا تزحزح مما شيدوا حجـر
ولم يزل لهم في كل زاويــة منوّه بمخازيهم ومفتخـــر

لقد بلغت الحماسة بالشاعر وتأييده للثورة ان يطلب البحث عما جرى من الاستغلال في العهود التي سبقتها ،والايقاع بمن اساءوا استغلال النفوذ ،لان بقاءهم يخطر ويهدد بعودة المياه الى مجاريهـــا ٠

وهكذا نجد ان الشعر السياسي في هذه الفترة يتجه وجهتين احداهما تفند هذه الحركة ،والاخرى تؤيدها على ان ذلك لا يعنى انها ظفرت بتأييد الرأى العام واجماعه عليها ، فالشعر قد يكون صدى للرأى العام ، كما يكون احيانا صوت الحاكمين ولسان الامرين ٠ وعلى الرغم مما قيل من قصائد فـي هذه الفترة من الحكم ، فان الاوضاع التي سادت لم تكن لتساعد على ازدهار الحياة الفكرية ، وانبعاث الشعر حرا طليقا يعـــبر عن عاطفة صادقة واحاسيس جياشة ،والاحزاب السياسية التي لـم يعد لها اثر ،والصحافة التي وضعت دونها القيود ، كانـــت

هذه العوامل الجديدة المؤثرة فيها من اسباب انحطاط الشعر وتدهوره .

٣ ـ مصرع الملك غازي

فوجيء الرأى العام العراقي في صباح اليوم الرابع من شهر نيسان سنة ١٩٣٩ بهذا البيان : "بمزيد الحزن والالم ينعى مجلس الوزراء الى الامة العراقية انتقال المغفور له سيد شباب البلاد ، جلالة الملك غازى الاول الى جوار ربه ، على اثر اصطدام السيارة التي كان يقودها بنفسه بالعامود الكهربائي الواقع في منحدر قنطرة النهر ، بالقرب من قصر الحارثية في الساعة الحادية عشرة والنصف من ليلة امس" (١)

وفي مثل هذه الاوضاع السياسية القلقة ،التي انطوى الشعراء فيها على انفسهم تهزّ البلاد كارثة جديدة ،لم تكن في الحسبان ،فاعلن الشعب عن الاسى الذى يملأ جوانحه في حفلات التشييع والتأبين . واشترك الكتاب والشعراء يبكون الوطن لانه فقد من علقت عليه الامال ،وكان الرثاء في جملته من الناحية الفنية لا يخرج عما الفه الناس من قبل . فقد قام بعض الشعراء

---

(١) تاريخ العراق السياسي : ٣/ ١٩٧ وانظر ٧٥ ـ ٢٧٧

Longrigg

يستخدمون التاريخ الشعرى في وفاة العاهل ، من ذلك قصيدة عنوانها "مناقب"[1] ختمها الشاعر بهذين البيتين :

مليك راح للاخرى شبابا	فاودعنا المآتم والتعازى
به اودى الردى ارخ وفيه :	بنيسان الاسى قد مات غازى

والقصيدة طويلة يستعرض فيها الشاعر مآثر البيت الهاشمي سواء كان ذلك في مجال السياسة او الدين حتى ينتهى الى الراحل ويذكر صفاته ثم يعبر عن آماله بالملك الجديد ، والقصيدة من الناحية الفنية في حاجة الى لغة محكمة والى معاني جديدة ، فهي اشبه ما يكون بالمراثي التي كنا نسمعها من قرون ٠

ومن قطعة ادبية ، من الشعر المنثور عنوانها " شعب يبكي "[2] للاديب عبد المجيد لطفي نقتبس ما يلي :

هكذا قدّر لنا ان نفقدك على عجل يا سيدى المليك
وكذلك كانت ارادة القدر ان يسلبك منا الاجل الطائش
فتذهب بن عشية وضحاها الى ظلام العدم
وتترك وراءك امة بالية

وبعد ان يصف الاديب مشاعره ومشاعر الشعب اتجاه مليكه يقول :

يا سورية العزيزه !
يا فلسطين الباسلة !
يا كويت المحبوبة !
ما نسيكم العراق ، في مصابه الاليم نادى بكم
وهتف بكم وباستقلالكم

---

(١) جريدة الزمان ١٥ نيسان / ١٩٣٩

ويلاحظ ان هذا اللون من الرثاء يختلف عن غيره ، فالشاعر هنا يشير الى الامال التي كانت معلقة على الملك غازى ، في اقامـــة نواة للوحدة العربية تتألف في البداية من سورية والكويـــت والعراق ،وانقاذ فلسطين مما تعانيه من شقاء وما ينتظرها من مستقبل مظلم ، ومن قصيدة للشاعر على الشبيبي :

نفاك غازى وذى الاكباد نذرفها
على الخدود كسيل الواكف الهطل
وما يفيد البكا ان نبك من جزع
ابا البلاد وحاميها من الغيـــل
فهل يرد علينا الدمع ما سلبت
يد المنون وهل يشفى من العلل [1]

وبعد ان يصف الشاعر ذلك الحزن الذى وقع من جراء تلك الكارثة يخاطبه مرة اخرى ،ويعجب كيف امحت معه بسمات النصر والامل :

يا صقر هاشم يا عنوان مفخرها　　يا شبل منقذ نا يا مضرب المثل
انا لنأسف ان تمسى رهين ثرى　　من عثرة الدهر ان الدهر كالثمل
ويغتدى وجهك الوضاح في لحد　　وتمحى بسمات النصر والامل [2]

ومن قصيدة للشاعر "عبد الستار القرغولي " عنوانها " وامليكاه ".[3]

---

(١) جريدة الزمان ١٦ نيسان / ١٩٣٩
(٢) جريدة الزمان ١٦ نيسان / ١٩٣٩
(٣) جريدة الزمان ١٥ نيسان / ١٩٣٩

يبث الشاعر فيها آلامه واحزانه ، لهول المصاب ،ويبدوءها بقوله :

نعيك سيد العرب المفدّى نعيّ هدّ ركن العرب هدّا
له وقع على الاسماع صعب كصوت المستبد اذا تحدّى

وهكذا ترك هول المصاب آثار الحزن والاسى في الشعر العراقي ، وقام الشعراء يبكون الملك الراحل لانه مناط امل البلاد ومعقد رجائها .

٤ ـ الاماني القوميّة

وفي هذه الفترة قوى الوعي القومي ،واحس الناس ان مستقبل وطنهم منوط بمستقبل الوطن العربي ،وكان لهم من التجارب الماضية ما يؤيد صحة هذه الفكرة ، فقد اشرنا الى موقف العثمانيين ومن بعدهم الحلفاء من اماني العرب ، مما جعل الاخيرين ينظرون نظرة شك وريبة في كل مساعدة تردهم من الخارج ،وان استقلالهم يجب ان يقوم على التعاون فيما بينهم ، ومن ثم لم يكن نشوء الجامعة العربية فيما بعد ،الا صدى لامال كانت تعتلج في نفوس الكثيرين من سكان العالم العربي ، ولئن قدّر لها ان تخفق في كثير من القضايا ،فمرد ذلك الى اسباب ليس هنا موضع تفصيلها .

وكان من العوامل المساعدة لنمو الشعور القومي في النفوس ،ان العراق قد انتهى من فترة الانتداب ، بعد

جهاد شاقّ كما ذكرنا ، وقد اخذ ينظر بعد ان تحقق استقلاله الى اهدافه البعيدة ، التي يستطيع ان يصل معها الى مستقبل زاهر ، بتعاونه مع سائر الاقطار العربية ٠

ومما شجع على يقظة الروح القومية المطامع التي اتجهت الى بعض اجزاء العالم العربي الاخرى ، ومن امثلتها مشكلة اسكندرونة في سورية ، وشط العرب والموصل في العراق ، والمغرب العربي في افريقيه ، وقد ولّدت هذه المشاكل مخاوف جمّة في نفوس العرب وجعلتهم يتبصرون بالاخطار المحدقة بهم ، ويؤمنون بان التعاون بينهم خير وسيلة لحل تلك المشاكل ٠

وسوف نعرض لقضية فلسطين ، وما لعبته من دور خطير في بث الحماسة القومية في النفوس ، لانقاذها من الغاصبين ٠

ولئن استحوذت فكرة الرابطة الاسلامية حينا على نفوس فريق من الشعراء والادباء ، فليس لذلك من سبب الا ان الدولة العثمانية اتخذت من فكرة الخلافة وسيلة لها ، لتثبيت اركان حكمها في العالم الاسلامي ، على ان هناك امرا جديرا بالملاحظة ، فاذا كنا نقرأ بعض القصائد ونسمع بعض الاصوات في الدعوة الى هذه الرابطة العثمانية فلن يفوتنا ذلك الاستبداد والطغيان الذى تميز به ذلك الدور لا سيما في عهد السلطان عبد الحميد فلا عجب ان يشايع الشعراء الاتجاه العام ، ومن ثم انقلبت تلك المدائح للسلطان تنديدا بظلمه وطغيانه حين ازيل ذلك الكابوس ٠

واننا لنسمع للمرة الاولى في تاريخ الشعر العربي ، اصواتا تدعو الى الوحدة القومية والوطنية ونبذ الخلافات الدينية ، ولعل اول قصيدة تطالعنا في هذا الباب ، للرصافي عنوانها "الى اخواننا المسيحيين" :

أما آن تنسى من القوم اضغان ... فيبنى على أُسس المؤاخاة بنيان
اذا جمعتنا وحدة وطنية ... فماذا علينا ان تعدّد اديان
انشقى بامر الدين وهو سعادة ... اذن فاتباع الدين يا قوم خسران [1]

والزهاوى الذى تغنى بالخلافة الاسلامية حينا من الدهر ، لم يلبث ان جرفه التيار ، وسار في الموكب الجديد ، موجها نداءه الى امته وابناء قومه ، باسم الوطن والقومية ، لا باسم الدين ، حاثا اياهم على النهضة والتقدم :

ثبوا بالسنة لكم من نار ... ما في جماجمكم من الافكار
سيروا الى غاياتكم في جرأة ... كالسيل هدّارا وكالاعصار

ثوروا على العادات ثورة حانق ... وتمرّدوا حتى على الاقدار
لا تقبلوا في الدين ما يروونه ... الا اذا صحّ في الانظار [2]

ثم ينعى على المسلمين تأخرهم ، ويتساءل عن اسباب هذا التأخر اهي امور ظاهرة ام خفية لا تدرك ؟ وطالما عمد الى المقارنة

---

(١) ديوان الرصافي ص ١٣١
(٢) ديوان الاوشال ص ٢٠

بين حاضر هذه الامة ، وما تلقى فيه من عناء ، وبين ماضيها الزاهر السعيد :

ابكي ومثلي بالبكاء حقيـــق آمال شعب مالها تحقيـــق
ولقد يذكرني بعزّ آفـــل برق له خلل السحاب خفوق
منى العراق بثلة رجعية جوّ العراق بشعرهم مخنوق
ما بال دنيا المسلمين تأخرت اهناك شيء في الخفاء يعوق؟[1]

وتغلب الحماسة على نفوس الشعراء ، فينطلقون معبرين عن عواطفهم ، اتجاه وطنهم ، ونحو سائر الاقطار العربية الاخرى حين يمسها اذى او تنزل بها كارثة ، وتراهم يتخلصون الى هذا الغرض في كثير من المناسبات ، لا سيما تلك الزيارات التي تقوم بها بعض الوفود من قطر عربي الى اخر ، ومن امثلة ذلـــك قصيدة للشاعر عبد الستار القرغولي وجهها الى شباب بردى :

ابنى الشقيقة انما اوطاننا دار لعائلة فلا تتقســم
انّت فلسطين بهـــا فكأنما سهم يسيل واخر يتخرم

ثم يهيب بالعرب ، الا يتخلوا عن تلك الارض المقدسة ، وان تشترك البلاد العربية كلها في الدفاع عنها :

لا تتركوا الوطن المقدس وحده وعليه خف وبالهم والمنسم
فلتشعلوها ثورة عربيـــة في كل قطر وانفموا وتقحموا

---

(١) الاوشال ص ٥٠

انا بوحدتنا سنأخذ حقنـا　　　وستندمون ولا يفيد المندم[1]

وينكشف هذا الشعور القومي ، في الشعر العراقي ، حين تلم ببعض اجزاء الوطن العربي كوارث تتفاوت في الشدة والقسوة ، فطرابلس حين تتعرّض لاضطهاد الطليان ، تثور ثائرة الرصافي ، فيبـث اشجانه ولواعجه في قصيدة عنوانها "في طرابلس"[2] وهـذه ابيات منها :

لك الله يا قتلى طرابلس التي　　　بها حكّم الطليان اسيافهم غدرا
اداموا بها قتل النفوس نكايـة　　　الى ان اصاروا كل بيت بها قبرا

لئن ايها القتلى اريقت دماؤكم　　　فما ذهبت عند العدا بعدكم غدرا
سنثأر حتى تسام الحرب ثأرنا　　　ونقتل عن كل امرئ انفسا عشـرا
وانى لتغشاني اذا ما ذكرتكم　　　لواعج حزن ترتمي في الحشا جمرا

وهو يدير هذه المعاني عن المآسي التي وقعت في طرابلس وبرقة ، في قصيدة اخرى عنوانها "الى الحرب"[3] التي يستهلها بقوله :

الا انهض وشمّر ايها الشرق للحرب
وقبّل غرار السيف واسـل هوى الكتب

---

(١) من مجموعة شعرية ارسلها الي الشاعر ،وعنوان القصيدة "الى شباب بردى"

(٢) ديوان الرصافي ٤٨٤

(٣) ديوان الرصافي ٤٨٠

وسوريا حين ينزل بها الفرنسيون ضروب العسف والظلم ، يبكيها الرصافي في قصيدته "دمشق تندب اهلها"[١] والجواهرى في قصائده "دمشق الثائرة"[٢] و"على دمشق"[٣] و"الى الشباب السورى"[٤] والاثرى في قصيدته "دمشق"[٥] ويوسف قصير في قصيدته "سوريا الثائرة"[٦] وهناك عدد اخر من القصائد نظمت في هذا الغرض ، قد انتشرت في بطون الجرائد والمجلات .

ونستمع الى الدعوة لاتحاد القطرين العراق وسوريا في قصيدة عنوانها "وحدة القطرين"[٧] وتقوم هذه الدعوة الى حاجة القطرين المتبادلة لدفع الخطوب وردّ المصائب ، كما تقوم على الاساس التاريخي في ان العرب امة واحدة :

صوغوا عراها من الاحداث والنوب ... ان لم تصوغوا من التاريخ والنسب

الى ان يقول :

فان اطلّت على بغداد كارثة ... باتت دمشق لها في ثوب مرتعب

وان صفا في دمشق الجو مزدهيا ... من زهوه رفلت بغداد في القشب

وما شغلنا بشيء من مطالبنا ... الا وحدتنا في اول الطلب

---

(١) ديوان الرصافي ٤٥٤

(٢) ديوان الجواهرى ٢/ ١٧٠

(٣) ديوان الجواهرى (طبعة ١٩٣٥) ٢٣٥

(٤) ديوان الجواهرى ٣/ ٨٥

(٥) مجلة الرسالة ٢٥٦/ ١٩٣٨

(٦) في اعاصير الشباب ٤٧

(٧) جريدة لواء الاستقلال عدد ٧٨٧/ ١٩٤٩

ومصر حين يكيد لها العدو يشاركها بعض الشعراء وانك تقرأ قصيدة الجواهري التي عنوانها "الى الشعب المصري" (1) فتحسّ بتلك العواطف الجياشة التي يبثها مصر ، وتقرأ قصيدة عاتكة وهبي الخزرجي التي عنوانها " دجلة تحيي النيل " فتحسّ بما امتلأت به نفس الشاعرة من عواطف نحو مصر ، واليك ابياتا من هذه القصيدة :

انا ليَجمعنا نطق وما اختلفت	منا الدماء ودين بالهدى قاما
ومبدأ الوحدة الكبرى يقربنا	قربا تخال به الاهرام ايوانا
وان تاريخكم ما زال يخبرنا	بانكم كنتم للمجد اعلاما
يا مصر فيك روحي وهي ظامئة	لئن تعيش بقرب النيل اياما (2)

اما لبنان ، فقلما تجد ديوان شاعر عراقي قد خلا من ذكره ، وانك اذا تقرأ ديوان الرصافي او الزهاوي او الشبيبي او الشرقي او السماوي تحس بما امتلأت به نفوسهم من عواطف تجاه هذا البلد ، فتغنوا بجماله وسحر طبيعته ، وساهموا في بث عواطفهم ازاء الاحداث التي وقعت فيه .

ويجدر بنا ان نشير الى الشعر الكردي ، الذي اخذ يساير الاداب الاخرى في اتجاهاته العامة ، ومعالجاته للموضوعات

---

(1) ديوان الجواهري ٣/ ٧

(2) بدوي طبانه ص ٤٥

الاجتماعية والسياسية ، وبالرغم من حداثة عهده ، فان القارئ يلمس في كثير من قصائده خصبا وحيوية ، ويعبّر عن الاماني القوميـــة لهذا الشعب . ولنستمع الى ابيات من قصيدة للشاعر الكردى "بيره ميرد" :

ايها الوطن الام ، انهض لردّ التحية
ها هم شهداؤك بملابسهم الحمر القانية
ما اجمله ! الدم وبياض المشيب ، الشباب والشيخوخة
تطلّع اليهم يا وطني ، انهم من ابنائك المغاوير
ضحّوا بارواحهم وهم يهتفون : عش عاليا ايها الوطن
قدّموا ارواحهم قرابين رخيصة في سبيلك
فاذا لم تكن حرّا طليقا فالموت لنا يا وطنـي (١)

ومن الجدير بالذكر ، ان الاكراد في العراق ، بصورة عامة ، يشاركون اخوانهم شعورهم الوطني ، ويساهمون مساهمة فعالة في خدمـــة البلاد ، وقد كان الرصافي والزهاوى ، اللذان ينحدران من اصـل كردى - كان هذان الشاعران صوت العراق في آماله وآلامه ، بل كانا صوت البلاد العربية كلها ، يوم كانت تحت الحكم العثماني .

---

(١) روشن بدرخان : صفحات من الادب الكردى ص ٤١

الفصـــل الثالـــث

الحـرب العالميـة الثانيـــة

للحرب اثر قوى في توجيه الشعر ،منذ اقدم العصور حتى عصرنا الحاضر ،فطالما تغنى الشعراء بالانتصارات التـــي احرزتها اممهم او قبائلهم او المجتمعات التي ينتمون اليهـــا ، ولطالما كان القادة والابطال الذين يخوضون تلك المعارك موضوعات حيّة لكثير من الملاحـم والقصائد ،ولو اردنا استقصاء الشعر الذى يدور حول الحرب لدى كثير من الامم لظهر لنـا انه يكوّن جزءا ضخما من تراثها الفكرى .

واننا اذ نقرأ الالياذة والاوديسه ،اللتين ترتسم فيهما صور الكفاح والوان البطولة ،في المعارك التي تعرّض لها اليونان وكذلك (Anied) التي وضعها Virgil ،لوصف الوقائع التي خاضها الرومان ،والملحمة الهندية "المهـــبراته" نلتمس فـــي كل هذه عالما يفيض بالحياة ،ويمتلئ بالوان زاخرة من البطولة والمجد ، اما في التاريخ العربي فلا تغيب عن الاذهان ايـام العرب في الجاهلية وحروبهم في عهد الاسلام ،وما كان لهـا من اثر فعال في توجيه الشعر ،ولسنا في حاجة ان نعيد الى الاذهان اخبار حرب البسوس ،ومعارك المسلمين مع خصومهم من روم وبيزنطيين ،واخبار الخوارج ،وآثار ذلك كلـه فـي

الشعر .

واذا كانت الحروب - في الغالب - اخر الوسائل التي يلجأ اليها الخصوم في صراعهم السياسي ، ادركنا العلاقة الوثيقة بين الشعر الذى ينظم في هذه المناسبات والاتجاهات السياسية التي تمسها ، وسوف نتحدّث في هذا الفصل عن الاثر الذى تركته الحرب العالمية الثانية في الشعر العراقي ، وما طرأ عليه من تغييرات وتطورات ، ومقدار تأثره بالاحداث السياسية سواء كانت محلية او عالمية . فقد اصطلى العراق ، كغيره من الممالك ، بنيران هذه الحرب ومرّ خلالها بمراحل مختلفة ، وكل مرحلة لها طابعها وسماتها الخاصة ، ومن هنا تباينت آثارها واختلفت اتجاهاتها ، وسنتحدث فيما يلي عن كل مرحلة من هذه المراحل ، وما تركته من آثار في الشعر العراقي :

١ - ففي المرحلة الاولى وقف على الحياد ، مع ارتباطه بمعاهدة تحالف مع بريطانيا وقد اشرنا الى هذه المعاهدة من قبل ، واذا كانت هذه المحالفة تنص على وقوف العراق الى جانب حليفته في مثل هذه المحنة ، فان شعورا قويا كان لا يتجه هذا الاتجاه ، وفي مقدمة المثيرات لهذا الشعور ، قضية فلسطين ، وغدر الحلفاء بالملك حسين ، وتخليهم عن الوعود التي قطعوها للعرب في الحرب العالمية الماضية .

وان وجود الحرب في بقعة معينة من الارض جعل الناس ينظرون اليها نظرة المتفرج بادئ الامر ، ولكنها حين

اخذت تنتشر رويدا رويدا ، وحين بدأت الممالك تنهار واحدة اثر الاخرى ، وحين بدأت الازمات تأخذ بخناق الناس ، اتجه عدد كبير من رجال الفكر الى معالجة مآسيها ، والتدبر في عواقبها المفجعة · وقد اتخذ الشعر العراقي ، وجهة انسانية خلال هذه الفترة ، اذ طافت باذهان الشعراء صور الحرب العالمية الماضية ومآسيها ، ورأوا اولئك الذين ادّعوا انهم خاضوها لحماية الحرية والدفاع عن الشعوب ، كانوا اول من استباح الحرية واستعبد الشعوب الضعيفة حين تمّ لهم النصر ، وتلمح هذا الاتجاه الانساني في قصيدة للشيخ باقر الشبيبى اذ يقول :

ان خمدت حرب فذى الثانية   يوقدها الاثم والمذنب
سوف تراها في الدنا حامية   يصلى بها المشرق والمغرب [1]

وما دامت المثل العليا لن تحقق ، وليست هنالك وجهة انسانية لاى من الفريقين المتحاربين ، فلتغتنم امتنا هذه الفرصة السانحة ، لنيل حقوقها ، والوصول الى امانيها :

فالامة الساهرة الواعية   تلعب بالنار ولا تغلب
اياكم والنغمة البالية   والفرصة الفرصة لا تذهب

وينحو هذا المنحى شاعر اخر ، فيرى ان الحرب وليدة افكار الغربين فولدت الخراب والدمار في بقاع الارض ، وان احدا من الناس

---

(١) من قصيدة عنوانها "الحرب" للشيخ باقر الشبيبى (شعراء الغرى ٤٠٣/١)

لم يستطع ان يكبح من جماحها ويخفف من ويلاتها ،حين انطلقت اصداؤها كالرعد ، ومشت تجرّ وراءها البؤس والشقاء :

القحتها فكرة الغرب عوانا   فاحالت كرة الارض دخانـا
ودوت كالرعد في الافق فلم   يلو من عثرتها الدهرعنانـا
ومشت في ام الارض فلـم   تبق من بنيان علياها كيانا

ثم يخاطب الغربيين ناعيا عليهم اضطهاد الاحرار، وفقدان الرحمة والحنان :

لا رعى الله ميادينا بهـا   اوسعوا الاحرار ذلا وهوانا
وقوانين على الجورابتنت   نسخوا الرحمة فيها والحنانا

ويخلص الى الخاتمة التي انتهى اليها الشاعر قبله ، مهيبا بامته ان تنهض ، وان تواصل السعي حثيثا للحصول على الامال التي ينتظرها العرب ، وقد عقد الامل على شبابهم :

يا شباب العُرب يا اسد الـشرى   واصلوا سعيكم انا فآنا
فعليكم عقدت آمالـنـــا   وبكم اصبح تحقيق رجانا [1]

ومثل هذه الدعوة انطلقت في الحرب العالمية الاولى ايضا ، حـين لم تكن الاتجاهات الوطنية واضحة آنذاك كل الوضوح ، فهناك فريق كان يدعو الى الرابطة العثمانية ، ولعل الرصافي كان في مقدمتهم ، وفريق يدعو الى التخلّي عن هذه الدولة التي تذرعت بالديـــن

---

(١) من قصيدة للشاعر عبد المنعم الفرطوس (مجلة الغرى ٣٥/ ١٩٤٠)

لتبسط نفوذها على دنيا المسلمين ،وفي مقدمة هؤلاء الشيخ رضا الشبيبي [١] اما في الحرب الثانية فتلمح ان الاتجاه يكاد يكون واحدا ،هو التخلي عن كل سلطان اجنبي ،والحصول على الاستقلال الناجز ،الذى لا تقيده الشروط ،ولكن هذه الروح كانت خافتة في المرحلة الاولى من الحرب ، كما ذكرنا ،فكانت النزعة الانسانية هي السائدة في الشعر العراقي آنذاك وللشيخ جواد الشبيلى قصيدة في وصف اهوال الحرب منها :

قرأنا على الايام اهوالها درسا ... ومن قبل هذا الدرس تعرفها حدسا
اذا نحن قلنا اصبح الكون هادئا ... تضارب مهتزا واضحى كما امسى
شعوب احست بالدخان وخلفه ... مقاييس لا تبقى شعورا ولا حسا
تفاقمت الحرب الضروس فلم تدع ... نوائبها نابا لشعب ولا ضرسا [٢]

وتبرز هذه النزعة الانسانية عند شاعر اخر ولا يكتفي بالوقوف عند حدود المآسي ،واظهار اللوعة والحزن على المصائب التي تنزل بالافراد والشعوب ،بل يرى الامل يساور النفوس في ان نظام الاستعمار سينهار بعد هذه الحرب ،وتنال الشعوب حريتها واستقلالها ،ومن امثلة ذلك قصيدة للرصافي عنوانها "نحن والحالة العالمية" [٣] يستهلها متسائلا عن هذه الخطوب والاحداث التي

---

(١) انظر قصيدة "الحب الطاهر" ديوان الشبيبي ص ٤٠
(٢) شعراء الغرى ٢/ ٤٢٠
(٣) جريدة الزمان ٤ ايار سنة ١٩٤١ ،وانظر ديوان الرصافي ٤٧٦

تضطرب اضطرابا ، وعما ستنجلي عنه :

صاح ان الخطوب في غليان   فبماذا يطرّق الملوا ن

ولا يلبث الشاعر حتى يتجلى له ذلك الصبح المشرق ،حين تعم المساواة انحاء الارض ،ويسود العدل في ارجائها ،وتنتصر المثل العليا والمبادئ الانسانية ، ~~ثم يلوح له ذلك الصبح المشرق، حين تسود الحرية وتعم المساواة~~ :

انني مبصر تباشير صبح   مستفيض على ظلام الاماني
ليس تلك الدماء في الحرب الا   شفقا من ضيائه الارجواني
سيلوح الداني به وهو قاص   ويلوح القاصي به وهو دان
ويكون المعز غير معز   ويكون المهان غير مهان
وسيغدو الضعيف محترم الحق   ويمسي الظلوم في خسران

ومن يقيد الحرية غير المستعمرين ؟ فاذا انهار الاستعمار تحققت المساواة والعدالة ، وعمر الكون :

فيبوء المستعمرون بخسر   وتضيء البلاد بالعمران

ثم يلتفت الشاعر الى قومه ، متسائلا عن موقفهم اذا تغيرت الاحوال وتبدلت الظروف ؟ وهل سيبقون على حالتهم الراهنة يقاسون الشقاء الوانا ، ام سيندفعون منطلقين وراء اهدافهم ومثلهم العليا ؟ :

معشر العرب اين انتم من القوم   اذا ما تمّ انقلاب الزمان ؟

والشاعر لا يلقى السؤال مستفهما ؟ فهو اعرف من غيره بما تعانيه

امته ، ولكنه يريد ان يعيد الى الذاكرة عهودا ابرمت من قبل ، فنقضت ، ومواعيد قد اخلفت من قبل الطامعين ، الذين استغلوا خيرات الوطن ودفائنه :

نقض القوم عهدكم قبل هذا   واستخفوا بحفظه في حواني [1]
واستهانوا بالوعد اذ اخلفوه   واستغلوا دفائن الاوطان

ولم يكتفوا بذلك بل اتخذوا لهم في البلاد قواعد عسكرية ، يحتمون بها :

واقاموا بها قواعد جـوّ   لاحتشاد الجنود والطيران

ولئلا تثور عليهم ثائرة الشعب بثوا عيونهم في كل مكان :

ثم بثوا بها العيون يعيثـون   فسادا في سوحها والمباني

وبذلك تمت لهم السيطرة على زمام الامر في البلاد فاصبحوا يسيّرونها كيفما ارادوا :

ثم ساروا تجـلـهم سيرفلك   هم بها آخذون بالسكان

ولكن المظاهر لا توحي بهذه السيطرة وهذا التحكم ، فقد اتخذوا من المواعيد والعهود قيودا ، بالرغم من اعترافهم في الاستقلال :

كل هذا وانتم مستقلون   بزعم من عندهم وامتنان
قيدوكم لنفعهم بعهود   ناطقات من امركم بلسان

---

(١) الحواني : الضلوع

ليس تلك العهود يا قوم الا كعهود الذئاب للحملان
اوثقوكم بها اسارا وقالوا ليس هذا لكم سوى احسان

وهكذا تبرز النزعة الانسانية بمظاهر مختلفة ،فهي تتسع احيانا حتى تشمل العالم باسره ،ويكون انهيار الاستعمار القائم على الجشع والاستغلال ،مظهرا اخر لها ، وحين تقف الحروب ، وتنشر الحرية اجنحتها على الامم والافراد ،فان ذلك آية على تقدم الانسان ،وسيره نحو المثل العليا والاهداف السامية التي تحقق للبشرية امانيها .

٢ — وفي المرحلة الثانية ،اتخذ وجهة جديدة ، فبينما كان الشعراء تحدوهم الروح الانسانية فيما ينظمون ،اذا بهم يفاجأون ببلادهم وهي تقف وجها لوجه امام الامبراطورية البريطانية ،فتنطلق القذائف بين الجانبين ،في فترة من الهدوء والسكينة ،تعمّ العالم خلال الحرب ،وقد اطلق بعض الكتّاب على هذه الحركة "ثورة ايار" او"ثورة الثلاثين يوما" وليس يعنينا هنا ان نتبين دوافع هذه الحركة واسبابها والنتائج التي انتهت اليها ، فقد افاض بعض الكتاب فيها ،وكانت هنالك وجهات نظر متباينة حيالها [١] ،وقد بدأت هذه الحركة في ٢ ايار

---

(١) انظر تفاصيل هذه الحركة في: عبد الرزاق الحسني : الوزارات العراقية ٥/ ١٧٩ — ٢٤٥ وكمال حداد في كتابه "ثورة رشيد عالي الكيلاني" و Khadduri: Independent Iraq: 182
و Longrigg: 82-298

سنة ١٩٤١ ،واستمرت شهرا كاملا استطاعت في نهايته القوات البريطانية ان تكتسح مدينة الفلوجة اولا ثم بغداد ثانيا ،وكان الرصافي يقيم في مدينة الفلوجة خلال تلك الحوادث ،وقد نظم قصيدته التي عنوانها "يوم الفلوجة"[1] في وصف ذلك الحادث، وسوف نعرض لهذه القصيدة . ولم تقتصر اصداء هذه الحركة على الشعر داخل العراق ،بل ان عددا من الشعراء الذين كانوا في الخارج ساهموا في بث الحماسة بقصائدهم ،ومن ذلك قصيدة للشاعر النجفي نظمها يوم كان في بيروت خلال هذه الفترة ،وقد ضمنها عواطفه وخلجاته :

ليس ينمو العزّ الا ... في ضفاف الرافدين
فلكم فاضا دماء ... اخصبت في الشاطئين
يا ليوثا تحرس الغاب ... بكلتا المقلتين
انتم اثبتم الحق بماضي الطرفين
صرتموا للعرب طرّا ... بالدما قرّة عين

ثم يوجّه آماله الى الملك فيصل الاول ،الذى هو رمز المجد :

فيصل للمجد رمز ... خالد في النشأتين
شاء ان نحيا وشئنا ... فاتحدنا عزمتين
كونوا امة عرب ... لا تقولوا امتين
انكم مطمح امال ... بلاد المشرقين[2]

---

(١) ديوان الرصافي ٤٦٨

(٢) جريدة الزمان ٧ ايار سنة ١٩٤١

وهكذا اتجه الشاعر يعيد الى الذاكرة الامجاد التي نمت وقامت على ضفاف الرافدين ، ويبارك الذين قاموا بهذا العمل ، ويحيي الملك فيصل لانه رمز الامة ، ويدعو الى قيام وجدة عربية ، تكون عزيزة الجانب ، قوية البنيان . ولقد سبق لنا ان اشرنا الى نمو الروح القومية ، في البلاد العربية لا سيما العراق ، وتعرضنا للعوامل التي ادّت الى يقظة هذه الروح ، وانك تلمسها واضحة في كثير مما تقرؤه من الشعر العراقي في هذه الفترة .

وللشاعر محمد بهجت الاثرى قصيدة طويلة ، استوحاها من هذا الحادث ، وفيها يصف تحرّش القوىّ بالضعيف ، ووثبة الثاني للدفاع عن كرامته وحقه ، بالرغم مما حشده القوى — اى بريطانيا — من وسائل الحرب في الجو والبر والبحر ، ويرى ان هذا القوى قد حان حينه ، وان جنازته قد شيعت بهذه الضربة التي انزلت به ، ثم ينثنى الى الامل في التحرر من ايدى ذلك الاستعمار الذى ظل امدا طويلا يبعث الرعب والفزع في النفوس :

غمزوا اباءك فاضطرمت اباءا	وحشدت جوّك والثرى والماء
راموك بالذل المقيم كانهم	حسبوك عبدا قد شروك فداءا
يا ويحهم غلبوا على اعصابهم	فتحرشوا بك سكرة وعماءا
نزل القضاء عليهم بمسلط	اخنى على اعصابهم ما شاءا
اخذ السبيل على النزيل وراعهم	بالمشرقين ابادة وفناءا
في كل مطلع وكل ثنية	نكصوا على اعقابهم جبناءا
ضربات اغلب لم يطيقوا حملها	حتى دعوا من لا يغيث نداءا

بالواهن الخرف الكسيح تعلّلوا — لوكان يغني مثله الضعفاء!

ان الالى ذاق الورى بأساءهم — عاد الانام يذيقهم بأساء

شيعت يا وطني العزيز جنازة — صنعوا بايديهم لها الحدباء

انا لا اقول الى الجحيم فما اهتدت — الا اليها مسلكا وثواء!

ويختمها قائلا :

يا ساعة التحرير عرسك قد اتى — ان البشائر لحن والبشراء!

سقيا ليومك في الزمان فانـه — من ليلة القدر الرجيّة ضاء (١)

ويسلك الشاعر عبد الحق فاضل هذا المنهج في قصيدته "ثورة الشعب الجبار" (٢) ويتابعه كل من انور خليل في قصيدته "امة تثب" (٣) وعلي الفراتي في قصيدته "ثورة الحق" (٤) وعبد السلام حلمي في قصيدته "الى الجهاد" (٥) .

وحين قدّر للجيوش الانجليزية ان تستولي على الفلوجه ،(٦) بعد جهود جبارة اوقعت فيها فتكا وتدميرا ،وكان الرصافـــي ، شاعر العراق ،مقيما آنذاك في هذه المدينة ،بعد ان اعتزل الحياة

---

(١) جريدة البلاد ٧ ايار سنة ١٩٤١

(٢) مجلة "المجلة" ٥/ ١٩٤١

(٣) مجلة "المجلة" ٥/ ١٩٤١

(٤) جريدة الزمان ٢٠ ايار سنة ١٩٤١

(٥) جريدة الزمان ٧ ايار سنة ١٩٤١

(٦) انظر تفاصيل هذه المعركة في مذكرات المستر تشرشل (الفصل الرابع عشر ٢٢٤ ــ ٢٣٧)

العامة منذ سنوات ،وقد شهد المأساة عن كثب ،ونظم فيها هذه القصيدة التي عنوانها "يوم الفلوجة" وفيها ينعى على الانجليز ظلمهم وتعسفهم واعتداءهم على السكان ،وقد ترك الشاعر هذه المدينة ،بعد وقوع الحادثة المذكورة ،وعاد الى بغداد فاقام فيها حتى ادركته المنية ،واليك قسما من هذه القصيدة :

ايها الانجليز لــن نتناســى   بغيكم في مساكن الفلوجــه
ذاك بغى لن يشفى الله الا   بالمواضى جريحه وشجيجه
هو كرب تأبى الحمية انــا   بسوى السيف نبتغي تفريجه
هوخطب ابكى العراقين والــــــشام وركن البنية المحجوجه

حلها جيشكم يريد انتقاما   وهو مغربالساكنين علوجــه
يوم عاثت ذئاب آثور فيها   عيشــة تحمل الشنار سميجــه
فاستهنتم بالمسلمين سفاها   واتخذتم من اليهود وليجه
وادرتم فيها على العزل كاسا   من دماء بالغدركانت مزيجه
واستبحتم اموالها وقطعتم   بين اهل الدياركل وشيجه
افهذا تمدن وعــــــلاء   شعبكم يدّعى اليه عروجــه (١)

وقد اوردنا من القصائد ما يمثل الاتجاه الذى يؤيد تلك الحركة ما فيه الكفاية ،وما يقدم صورة للعواطف والمعاني التي ادار الشعراء عليها قصائدهم حول هذا الموضوع ،ولـم

---

(١) ديوان الرصافي ٤٦٨

نشأ ان نتخذ وجهة نظر معينة بل لا بد لنا ان نعرض وجهات النظر كلها .

وسواء كانت هذه الحركة على صواب او باطل ، فانها تركت في الشعر العراقي اثراً بليغا ، ولئن وقف بعض الشعراء يؤيدها ، فان بعضهم وقف يندّد بها ، وينعى على قادتها طيشهم وحمقهم ، وما اوقعوه في البلاد من خسارة ودمار ، ولنستمع الى قصيدة عنوانها "الذكرى الاولى" (١) لشاعر استعار اسم "الشاعر المنزوي" وقد نظمها بمناسبة مرور السنة الاولى على قيام تلك الحركة :

يا معقد الامل البعيد ومطمع العدد العديد
يا موطن المجد الطريف ومعقل المجد التليد
يا موطني الغالي وقاك الله من شرّ اكيد
قد دبّرته عصابة الاشرار اذناب العبيد

وقد اتجهت معظم الصحف العراقية ، فيما بعد ، الى شجب تلك الحركة (٢) والتنديد بالقائمين عليها ، وبيان الاخطاء والهفوات التي ارتكبوها ، وهكذا فقد كان التنديد بهذه الحركة وتفنيدها اكثر ظهورا في المقالات منه في القصائد .

---

(١) مجلة "المجلة" ١٩٤٢/٢٤

(٢) ويعد خطاب الامير عبد الاله من اهم الوثائق التاريخية المتعلقة بهذه الحركة وتطوراتها وهو يفند العوامل والاسباب التي استند عليها القائمون بتلك الحركة (الحسني : الوزارات العراقية ٥/ ٣٦ ـ ٢٤٥)

٣ - اما المرحلة الثالثة من الحرب ، فانها تبدأ بانتهاء ثورة ايار ، بالنسبة الى العراق ، وفي هذه الفترة تغير الموقف السياسي للعراق ، اذ وضعت المعاهدة التي بينه وبين بريطانيا موضع التطبيق ، واعلنت الحرب على جبهة المحور . وقد بلغت مرحلة الكفاح في الحرب العالمية حدّا لم تبلغه من قبل ، وكان لكل ذلك اثره الواضح في الحياة العامة ، فارتفع مستوى الاسعار ، واشتدت الضائقة الاقتصادية ، وربما كانت حركة ايار عاملا مهما في ظهور هذه الازمات .

وقد عاد الى العاصمة سموّ الوصي الذى غادر البلاد عند بداية حركة ايار، فقام الشعراء يهنئونه ، ويباركون عودته . مثال ذلك قصيدة عنوانها "اليوم الوضى ، بطلعة الوصي " (١) لهاشم الخطيب :

اليوم عمّ الرافدين هناء	عاد الوصي فعادت الغماء
وتخايلت دارالسلام واسفرت	وتباشرت طربا بها الارجاء
وبدا عليها النور يشرق بعدما	اخنى عليها الظلم والظلماء

ثم يصف الشاعر شهر ايار :

ويلاه من شهر تولّى مدبرا	منه الشهور اذا انتسبن براء
ايامه السود اللواتي ادبرت	ملء البلاد وملؤهن بلاء
كم ادمع فيه انسفحن لحادث	جلل وكم فيه انسفكن دماء

---

(١) مجلة الغرى ١٩٤١/٧١

كم من وحيد الام اصبح طعمة للنار اوصليت به الرمضاء
ما ذنب هاتيك الجسوم على الثرى اضحت تمج دماءها البوغاء

.....

وهناك لون ،ان لم يكن جديدا في الادب العربي ، فقد ظهرت فيه معان جديدة ،ذلك هو شعر السجن ،ومن خير الامثلة على هذا النوع ،مجموعة عنوانها "حصاد السجن" لاحمد الصافي النجفي ،الشاعر العراقي الذى ما زال منذ اكثر من ثلاثين عاما يطوف بين سوريا ولبنان ،وقد اعتقل بامر من السلطات الفرنسية التي تذرعت بان اعتقاله كان بطلب من العراق ، ولنستمع اليه في قصيدته "الجرم الشريف" (١)

حبست وضاق الحبس حين زجّ بي الى غرفة ظلماء محكمة السدّ
فقلت علام الحبس لا انا سارق ولا آثم عمدا ولا دون ما عمد

الى ان يقول :

ولما رأيت الذنب خدمة موطني حلا السجن حتى خلته جنة الخلد (٢)

وترى الشاعر يتندّر على تلك الحكومات التي شاركت في اعتقاله وزجّه في السجن وقد اخذت كل منها تسأل الاخرى عن امره :

حكومة لبنان قد راجعت فرنسا لفكّي فلم تسطع
وراحت فرنسا الى الانجليز تراجعهم جلّ من مرجع

(١) و (٢) حصاد السجن ٤٧

وقد راجع الانجليز العراق   ولليوم بالامر لم يصدع
نقلت اعجبوا ايها السامعون   ويأيها الخلق قولوا معي
أمن قوتي صرت‌ام ضعفهم   خطيرا على دول اربع (١)

.....

وفي هذه الفترة نرى الشعراء يتأثرون بالتيارات الفكرية والمذاهب الاجتماعية التي اخذت تجتاح العالم من ذي قبل ، فالصراع الذي كان يدور بين الدول ، انما هو صراع - في الوقت نفسه - بين المبادئ والمذاهب الاجتماعية والسياسية التي تقوم عليها تلك الدول المشتركة ، وانك لتلمح القصائد التي قيلت في تأييد بريطانيا مثلا تنطوي على الايمان بالديموقراطية ، والتنديد بالمذهب السياسي الذي تقوم عليه دول المحور ، وقد تكون البسالة والبطولة التي ظهرت في دفاع هذه الامة عن نفسها حافزا للشعراء ان يمجّدوا تلك المواقف ، وربما كان كره بعض الناس للفاشيّة ، وما تنطوي عليه من قسوة وعنف ، هو الذي جعل الابصار تتجه نحو الجبهة الاخرى ، معلقة عليها الامال في تحطيم هذا الجهاز العسكري ، الذي بعث الرعب والقلق في كل مكان ، ففي قصيدة "سواستبول" (٢) للجواهري يحيي الشاعر هذه المدينة في موقفها قائلا :

---

(١) حصاد السجن ص ٣٨

(٢) ديوان الجواهري (ط ٣) ١/٨٠

يا سواسبول سلام　　لا نيل مجدك زام
لا عرا السيف حساما　　ذرب الحدّ انثلام !

ثم يستعرض الشاعر صور الاشلاء من الضحايا مبعثرة في كل بقعة ، مشبها اياها بالاوسمة تزين صدر تلك الارض :

كل شبر فوقه من　　جثث القتلى وسام

وترى الشاعر تأخذه الدهشة من تلك البسالة والاقدام ، اللذين ظهرا في الدفاع عن هذه المدينة ، وانه ليتساءل كيف يتسابق اهلها الى الموت ، ويزدحمون عليه ، كانهم يتسابقون للحصول على بعض اللذاذات ، وتلمس مثل هذا المعنى في عدد من ابيات الشعر العربي ، حين يصف الشعراء ممدوحيهم بان عناقهم للسيوف اشد شوقا لديهم من عناق الغيد الحسان :

اعلى الذبح استباق　　اعلى الموت ازدحام
اهي سوق لمباراة　　اللذاذات تقام
الردى والمجد والاشلاء والصلب ركام

ثم ينتقل الى وصف المدينة بانها قلعة شرقية ، وقد وقفت باسمة حين ادلهمت حولها الخطوب وكوارث الحرب ، وانها لتعيد الى الدهر الهرم شبابه اذا خطرت بباله ، وهي صورة احسن الشاعر في عرضها :

قلعة شرقية في　　كربة الارض ابتسام
يهرم الدهر فان عنّت　　له فهو غلام

وانك لتلتمس هذا المعاني في قصيدته الاخرى

"ستالينغراد" (١) بل انك تجد فيها حماسة اشد ، واتجاهـا عاطفيا وفكريا اقوى . اما الشيخ علي الشرقي فانه في قصيدته "مداعبة هر" (٢) يبدأ بالسخرية من هتلر ، متخذا الجناس وسيلة له في مطلع القصيدة ، ثم يذكره بالهزائم التي لحقت به فـي "الاكرين والقفقاس ورستوف" ويعرض بنظامه الجديد الذى كان يدعو له ، فيما لو قدّر لالمانيا ان تحرز النصر في تلك الحرب .

قد احتفلنا بالنظام الجديد   هيا ودشن حفلة الافتتاح

وفي قصيدة عنوانها "القنبلة الذرية" (٣) للشاعر نفسه ، يستعرض عهدين ، الاول ، قد اشرقت انواره ، وعمت مباهجه ، وامتلأ فيـه الكون بالسحر والفتون ، وعهد اخر ، يملوءه الرعب والخوف ، اثاره تحطيم الذرة واستخدامها سلاما في الحرب ، ولنسمع الشاعر اذ يقول :

اذرة ينسف الدنيا تفككها   تطوى وتجرف لم تبق ولم تذر
كأنما شقر لفت بعاصفـة   هوجاء لواحة بالشر والشرر

واثرت الازمة الاقتصادية في حياة الناس ، ولنسمع وصفا لها مـن

---

(١) ديوان الجواهرى ٢/ ٦٧
(٢) ديوان عواطف وعواصف ص ٢٢٢
(٣) ديوان عواطف وعواصف ص ١٨٥

قصيدة عنوانها "حلف ثلاثي "(١) للشاعر محمود الملاح :

جوع وعرى في البلاد تآلفا	وتحالفا والبرد من كانـون
حلف ثلاثي يحاكى محـــورا	يمتد من روما الى برلـــين
ويظل ممتدا الى طوكيوالتي	فيها مباءة عسكر الطاعـــون
كالنســر لكن شل منه يمينـه	فارتد اعســربعد شلّ يمـين

وتقرأ مثل هذه المعاني في قصيدة اخرى للشاعر نفسه عنوانها "عـز الرغيف "(٢)

ومن الادب الكردى قصيدة يسخر فيها الشاعر من هتلر وقد ترجمت تحت عنوان "من الادب الكردى" ، وفيها يلمس القارئ وثبات عاطفية ، وصورا من الاساطير المحلية ، وها هي القصيدة :

اذا عمّت الهموم ، وفار بركان الغضب ،ووجد الشعب بان الطريق قد سدّ في وجهه ،

واذا ما عرف عدوّه وشعر بالظلم والحيف ،اتحد افراده فيما بينهم بعيدهم وقريبهم ،

ان هذا اليوم هو اليوم الموعود ،يوم الكريهة ،اذ يبعث الشعب كلما هرم في مثل هذا اليوم .

ان الطيارات والمدافع لا تؤخر يوم البعث ولا الدبابات والرشاشات

---

(١) مجلة "المجلة " ١٩٤٢/١٨

(٢) مجلة "المجلة " ١٩٤٢/١٧

تحول دون حلوله ،

من يستطيع ان يصمد امام غضب الشعب ؟ فتذكر ايها البليد المغرور المتنعم (هتلر)

ان مطرقة العم "كارون"[١] بثقلها قد هشمت رأس "بيومرد" ودكت عرشه .

وفي ديوان السيد محمود الحبوبي مجموعة من القصائد نظمت في فترة الحرب ، وهي جملتها ، تتجه الى الناحية الانسانية ، ففي قصيدته "ماذا في البحار"[٢] يصف اهوال حرب البحر ، وما يلقاه المتحاربون فيها من هول وموت . وفي قصيدة "الانسانية تستغيث"[٣] ينكر على تلك الامة التي تبغي من وراء حياتها فناء العالم ، وينعى على اوربا انها خالفت نصائح المسيح في دعوته الى السلم ، وفي قصيدته "العالم بين النار والدمار"[٤] ينعى على قادة الشعوب توجيههم شعوبهم الى الحرب وفي قصيدة "الحرب تحتضر" يصف فجائعها ، ثم يستبشر بقرب خاتمتها .

وحين ينعقد موءتمر السلام في (سن فرنسسكو)[٥] ،

---

(١) في اسطورة فارسية ان العم "كارون" ثار على السلطان الغاشم "بيومر" ووراءه افراد الشعب ، فقتله وجلس على العرش ، وحكم بين الناس بالعدل في بلاد فارس .

(٢) ديوان محمود الحبوبي ص ١٠٨

(٣) ديوان محمود الحبوبي ص ٩٦

(٤) ديوان محمود الحبوبي ص ١٠٢

(٥) ديوان محمود الحبوبي ص ١٠٦

يخاطب الشاعر اعضاءه الى ان يعيدوا الامور الى نصابها ،وان يأسوا جراحات الشعوب ،ويتخذوا من الماضي عبرا :

اقطاب موءتمر السلام ردوا الحياة الى النظام
ردوا بخبرتكم جراحات الشعوب الى التئام
سادت بها الفوضى وساء الوضع عاما بعد عام
خطّوا المناهج في (فرنسسكو) وسيروا للامام
وخذوا من الماضي اعتبارا تبلغوا اقصى المرام

وهكذا نرى الشعر العراقي يتخذ وجهات متعددة ،ويتأثر تأثرا ملموسا باحداث الحرب ووقائعها ،ولا يقف منها ،ما وقفه الشعراء في العصور العربية القديمة ،بل يتجه اتجاهات جديدة ، تواكب الفكر الانساني ،وابرز هذه الاتجاهات الروح الانسانية التي لا ترى في الحرب الا البوءس والدمار ،والروح الوطنية التي تبغى حرية الوطن واستقلاله ،كما رأينا تأثره ببعض المذاهب الاجتماعية الحديثة ،ولكن بناء القصيدة لم يطرأ عليه التغير الملموس ،الا بعد ان وضعت الحرب اوزارها كما سنرى .

الفصل الرابع

بعد الحرب

انقضت الحرب العالمية الثانية ، فاحس الناس بكابوس ثقيل قد رفع عنهم ، فان ما وقع فيها من ويلات وكوارث ، وما اصاب الحياة من عسر ، وما وضع على الفكر من قيود ، جعلت الناس يتطلعون الى يوم يسود فيه السلم ، وينطلق الفكر من عقاله .

ان اثر الحرب في الحياة الفكرية اليوم يختلف عن اثرها بالامس ، حين كانت تدور رحاها في نطاق ضيق من الارض ، وبين عدد محدود من الناس ، فلا تلوح لهم الا اشباح الهزيمة او النصر ولا ينال الاذى الا اولئك الذين يخوضون غمارها ، وقد تبدلت الحال بعد ان تقدّمت وسائل التدمير ، واتسع نطاق الحرب ، واخذ يشمل المدنيين والعسكريين على السواء ، ومن هنا ظهرت النزعة الانسانية التي تدعو الى وضع حدّ لهذه الويلات ، وقد اشرنا الى ظهورها في الشعر العراقي في الفصل السابق .

ولئن كانت الحرب قد انتهت فان آثارها بقيت في نواح متعددة من الحياة الفكرية والاجتماعية والاقتصادية ، ولكن هذه الاثار لم تنكشف بوضوح وجلاء الا بعد ان سكتت اصوات المدافع وهدأ ازيز الطائرات ، فاصبحنا نلمس تحوّلات واضحة في الاتجاهات الفكرية عامة ، فقد كان انتصار الديموقراطيات ،

نصرا للمذاهب الديموقراطية ، وبالعكس فقد زالت بعض المذاهب السياسية من عالم التطبيق ، للهزيمة التي منيت بها الدول التي قامت عليها نظمها السياسية ، وقد كان لذلك كله اثر واضح في الشعر السياسي .

ومن الناحية الفنية اصبحنا نلحظ تطورات واضحة في بناء القصيدة واسلوبها ومعانيها ، فقد انتشر الشعر الحرّ ، والشعر المرسل ، وطغت الرمزية ، وهذه الظواهر ان وجدت في آثار فريق من الادباء العرب سواء كان ذلك في لبنان او المهجر او مصر منذ اكثر من ربع قرن فانها لم تظهر بوضوح ، وتنتشر على نطاق واسع في العراق الا بعد نهاية الحرب العالمية الثانية ، وقد استخدمت هذه الخصائص الفنية في الشعر السياسي كما استخدمت في غيره ، وسوف نتحدّث عن الاتجاه الرمزى في الشعر السياسي ، لكثرة ما نظم فيه ، اما الاساليب فان اتصالها بالوجهة الفنية اقوى ، وها نحن نتحدث عن تلك التيارات والاحداث :

١ — الرمزية في الشعر السياسي

لئن كانت الرمزية قد ظهرت في الادب العربي منذ بضعة قرون لدى الشعراء المتصوفين ، فقد عادت الى الظهور مرّة اخرى في الشعر العربي ، في ايامنا هذه ، وانتقلت الى الشعر العراقي عن طريق لبنان الذى تأثر ادباؤه بقادة هذا المذهب من الفرنسيين ، وقد اتسع نطاقها في الفترة التي تلت الحرب العالمية الثانية ، ولعل النفوس ارادت الانطلاق بعد الوطأة

الشديدة التي خلقها الحرب ، وما لابسها من كبت وحرمان ، بالاضافة الى هذه النزعة التي طغت على الشرق .

وانك لتقرأ آثار الشعراء من الشباب فترى النزعة الرمزية تطغى على كثير منه ، ولعلّهم قد اعتبروا هذا اللون من الشعر ضربا من التجديد ، واستطاعوا حين ركبوا متنه ، ان يتخلصوا مما تعارف عليه الشعراء ، من اوزان وقواف ، في نظرهم قيود له ، ومن الجدير بالذكر ، ان معظم اولئك الذين اتجهوا نحو الشعر الرمزى ، لم يلمّوا باصوله ، انما دفعهم اليه حبّ الاحتذاء والتقليد ، واذا كان فريق منهم قد انطلق في اجواء نفسية شاسعة المدى تتصل بكل ما يخالج النفس من عواطف واهواء ، فان فريقا اخر قد اتجه الى نقد ومعالجة الاوضاع السياسية والاجتماعية .

وليس يعنينا من الشعر الرمزى الا ذلك اللون الذى يتصل في الاتجاهات السياسية فاصبحنا نرى ميلا الى الرمز في الشعر السياسي ، حتى بين شعراء الجيل الماضي ، ممن لم يألفوه من قبل .

ففي قصيدة عنوانها "حنين" [1] للجواهرى ، يرمز الشاعر الى المستقبل السعيد بشبح ، تتراءى اطيافه مرحة ، وينبعث النور منه ، وتظهر عليه علامات الرضى والسكينة ، وهو الذى يبعث

---

(١) ديوان الجواهرى ١/ ١٤

الامل في النفس ،حين تدلهم الخطوب ،فيشد القلب بعزيمتـه ، ويكفكف الدمع ببسماته ٠

ولنستمع الى بعض ابيات هذه القصيدة التي يقول الشاعر عنها انها نظمت في اواخر عام ١٩٤٩ لتكون فاتحة الديوان :

احن الى شبـح يلمـح ... بعينيّ اطيافـه تمـرح
ارى الشمس تشرق من وجهه ... وما بين اثوابه تجنـح
رضيّ السمات كأن الضمير ... علـى وجهه القا يطفح

يداعبني اذ تجد الخطـــــــوب فامزح منها كما يمزح
يشدّ جنانـي بعزمـــــــات ودمعي ببسماته يمسح

وتقرأ مقدمة الديوان التي جعل عنوانها "على قارعة الطريـق" فتراه يتحدث عن نفسه حديثا رمزيا ،ثم تنظر صورة الشاعر في الصفحة الاولى فترى انها مستوحاة من الفن الرمزى ، ولكنـك حين تفتش عن هذه الرمزية في ديوانه الذى طبع سنة ١٩٢٨ والاخر الذى طبع سنة ١٩٣٥ ،فانك لا تجد لها اثرا ، ولعل لاتصال الشاعر بالثقافة اللبنانية وسفره الى فرنسا ،قد جعلـه يتأثر بهذا اللون من الادب ويتجه اليه في اخريات عهده ، وتقرأ قصائد الشرقي فترى كثيرا منها رمز ، لكن اثر الادب الفارسي واضح فيه كل الوضوح ٠

وتقرأ قصيدة "حفار القبور" ، وهي احدى القصائـد الطوال للشاعر بدر شاكر السيّاب يرمز الى مثيرى الحروب ، بحفار القبور الذى يعيش على دفن الاموات ، وكل كارثة تنزل

بالاخرين انما هي احدى مسرّاته ،فهو يترقب حوادث الموت بفارغ الصبر ليقيم أود حياته عليها . وهذه المعاني مألونة في اكثر الموضوعات التي كتبت في الدعوة الى السلم ونبذ الحرب من ان المطامع هي السبب الاول في اثارة الحروب . والشاعر في "ملحمته" هذه كما اسماها لم يعد ان استعار من تلك المعاني موضوعا لقصته ،فهو يلقى على لسان بطل القصة من القول ما ينم عن تعطشه للحرب لان فيها حياته :

ما زلت اسمع بالحروب　　فأين اين هي الحروب ؟!
اين السنابك والقذائف　　والضحايا في الدروب ؟!
لأظل ادفنها وادفنها ....　　فلا تسع الصحارى

ثم يتمنى ان تنتشر الحرب في كل مكان :

ما زلت اسمع بالحروب　　فما لا عين موقديها ؟
لا تستقرّ على قرانا ؟　　ليت عيني تلتقيها

وبعدها يعرض الدوافع التي تحدوه الى ان يتمنى وقوع الحرب :

واخيبتاه !! الن اعيش بغير موت الاخرين ؟
والطيّبات من الرغيف الى النساء الى البنين
هي منّة الموتى عليّ ، فكيف ارفق بالأنام
فلتمطرنهم القذائف بالحديد وبالضرام !

ونلتمس الرمزية في الشعر السياسي لدى شاعرين اخرين هما عبد الوهاب البياتي وكاظم السماوي ، اما الاول فقد اخرج ديوانين احدهما "ملائكة وشياطين" والثاني "اباريق مهشمة" . وهو ان

كان يلتزم الوزن والقافية في بعض قصائده فانه يتحلل من هـذه القيود في معظم تلك القصائد ،اما الموضوعات التي ادار عليها الكلام ،فاغلبها يتصل بالحرية ،والمستقبل الباسم ،والحاضـر الشقيّ الذى يتخذ منه صورا جمة ،ونجتزئ بالاشارة الـى احدى قصائده التي عنوانها "طريق الحرية" (١)

عبر الصحارى الموحشات ترن اجراس الحياة
في الليل معلنة ،"بان عدوّها الممقوت مـات"
والى المدائن والقرى المتناثرات
عبر الصحارى الموحشات

ينسلّ ضوء الفجر اقوى ... من ينابيع الحياة
وتهب اطياف العبيد من السبـات
نحن العراة
بالامس سخرنا الطغاة
لبناء هذى السخريات

ويمعن الشاعر في السير على هذا المنوال مردّدا الاصوات المنطلقة من كل مكان ،معبّرة عن آلامها وما يلحقها من ظلم وعدوان ، حتى تثور العاصفة ،وتندلع الثورة ،وتنطلق الاجراس معلنة عهد الحرية ،وزوال الطغيان .

---

(١) اباريق مهشمة ص ٣٤

اما كاظم السماوي فنلمح آثار الرمزية في مجموعتيه "اغاني القافلة" و"الحرب والسلم" اذ يتطلّع الى مستقبل باسم ، ينتشر فيه العدل وتعمّ المساواة ،كما ينعى على مثيرى الحرب دعواتهم اليها ، ويصفهم بالسفاكين حينا واللصوص حينا اخر ، ونحو هـذه من الاوصاف ، ولا ينسى ان يعرض صورا لكوارث الحرب ، والويلات التي يتعرض لها فيها ،فهذه جموع العائدين يجرون سيقانهم من التعب والهزال ، وجموع المستقبلين يسألونهم عـن ذويهم ، واين عصفت بهم الايام ،كما يصف اولئك العاطلين ، وقد جلسوا على الرصيف يستدرون الاكف ، ويسألون الناس ما بأيديهم بعد ان وضعت الحرب اوزارها .

وممن نحا هذا المنحى الشاعر كاظم جواد ، وله قصائد منشورة في بعض الصحف والمجلات ، ولما تجمع بعد ، وهو لا يمعن في الرمزية امعانا تنطمس معه المعاني التي تخالجه ، بـل يميل الى الوضوح ، ويدير اكثر قصائده على الاحداث السياسية والمشاكل الاجتماعية القائمة في الشرق ، ولنقتطف بعض الابيات من قصيدته "معركة الحرية" (١)

ودبيـب ناطـور ونجم كان يخفق في السماء
ما زلت احلم بالكفاح بذلك الصوت العنيـد
صوت الجموع الهائجات تخوض معركة الحياة
بصياح مجروح يحدّق في الوجوه ويستغيث

---

(١) من مجموعة الخطية

ولعل الجواهري ،كان رائد هؤلاء الشعراء الرمزيين في المعاني التي ادارها عن اهوال الحرب والمثيرين لها ، وعن المستقبل الذي ستزول فيه الحروب ،فقد افاض القول في هذه المعاني التي ضمنها قصيدته "عالم الغد" (١) وجعلها شبيهة بالملحمة الشعرية .

وقد اتجهت نازك الملائكة اتجاها انشائيا في قصيدتها "لنكن اصدقاء" (٢) و"الكوليرا" (٣) وانطلقت الى التأمل الذاتي في معظم قصائدها في ديوانيها "عاشقة الليل" و"شظايا ورماد" فغلبت عليها النزعة الرمزية ولكنها لم تمسّ الموضوعات السياسية الا نادرا .

٢ ـ فترة من القلق

لئن كنا نلمس تحوّلات ملحوظة في اتجاهات الادب العربي ، في اعقاب الحرب العالمية الاولى وقد ظهرت تلك التحولات في اغراض الشعر ومعانيه ،اذ اتسع نطاق الشعر السياسي لا سيما في العراق ،واصبحت الوطنية والتغني ابرز سماته في هذه الفترة ، فان تحوّلات اخرى طرأت على الشعر بعد الحرب الثانية ،فاتجه الشعراء الى الاحداث يستلهمونها ،والى الموضوعات الاجتماعية ، المنبثقة عن المذاهب الفلسفية يعالجونها ،كما طرأت تغييرات فنية

---

(١) مجلة الطريق مجلد ٢ ج ٢ ،ومجلد ٣ ج ١

(٢) شظايا ورماد ص ١٢١

(٣) شظايا ورماد ص ١٢٥

في الشعر .

وفي هذه الفترة وقعت بعض الاحداث السياسية التي انعكست آثارها في الشعر . وكان من بين تلك الاحداث تقديم مشروع معاهدة (Portsmouth) [(١)] الى البرلمان سنة ١٩٤٨ ، والمظاهرات التي قامت حولها ، وقد وقع فيها عدد من الضحايا ووقف الشعراء يسجلون هذه الحادثة ويستلهمون وقائعها ، وان من يطالع الصحف في الفترة التي اعقبت تلك الحادثة يجد فيها عددا كبيرا من القصائد التي تدور حول هذه الحركة ، ولعلّ الشاعر عدنان الراوى اوّل من اتخذ منها ملحمة تتألف من خمسة فصول ، وعنوانها "النشيد الاحمر" واليك ابياتا منها :

قيل لي ان لك اليوم بلادا ووطن
هو ملك للمقيمين به طول الزمن
فاذا بالوطن (المزعوم) تطويه الاحن
واذا هو اليوم ملك لغريب موءتمن
اجنبيّ من بني سكسون يسقيه المحن

وتروعك الروح الثائرة التي ينطوى عليها هذا الديوان ، والشاعر يعلل هذه الثورة في مقدمته اذ يقول "...يقولون لي لماذا

---

(١) انظر تفاصيلها في Longrigg, pp. 44-351
Khadduri, pp. 72-268
"العراق المعاصر" للدكتور صالح زكي و"سحابة بورتسموث" لصدر الدين شرف الدين .

يتجه هذا الشاب بشعره هذا الاتجاه ،فلا نقرأ له من الشعر الا المآسي والنقمة والاندفاع واقول انا لهؤلاء ان حياتي مأساة ... وان روحي ناقمة ... وان قلبي لا يهدأ ... فاعطوني وطنا حرا مستقلا ،اسكت انا عن المطالبة بالحرية والاستقلال ،واجعلوا حياة الناس في بلادهم سعيدة هانئة ،اسمعكم انا شعر الربيع والورد المبتسم ، ونظفوا بلادكم من الظلم والجوع انشد انا لكم الحان الحب الذى لا يموت ... فانا جزء من هذا الوطن ".(١)

ولا نستطيع ان نمرّ بهذه الحادثة ،دون ان يستوقفنا ما نظمه فيها الجواهرى ،وكان اخوه واحدا من الضحايا ، ومن هنا امتلأت نفسه حزنا واسى ،لذلك كانت القصائد التي نظمها في هذه الفترة ،رثاء لاخيه ودعوة الى الثورة وتحطيم الاوضاع ، وحين تقرأ هذه القصائد تحس بالوعيد والتهديد الذى يسوقه الشاعر ،والزراية بالاقامة على الذل الذى لا يفضله الا الموت ، ولنستمع الى ابيات من قصيدته "اخي جعفر" (٢)

اتعلم ان جراح الشهيد	تظل عن الثأر تستفهم
اتعلم ان جراح الشهيد	من الجوع تهضم ما تلهم
تمصّ دما ثم تبغي دما	وتبقى تلح وتستطعم
فقل للمقيم على ذله	هجينا يسخّر او يلجم

---

(١) النشيد الاحمر ـ المقدمة

(٢) ديوان الجواهرى ١/ ١٣٠

تقحّم لعنت ازيز الرصاص وجرّب من الحظ ما يقسم
وخضها كما خاضها الاسبقون وثنّ بما افتتح الاقدم
فاما الى حيث تبدو الحياة لعينيك مكرمة تغنم
واما الى جدث لم يكن ليفضله بيتك المظلم

ونلمح هذه الثورة نفسها في قصيدته "يوم الشهيد" [١] وهي تقع في نحو من مائتي بيت ، وحين تقام حفلة تكريم للدكتور هاشم الوترى ،[٢] لا ينسى ان يتخذ منها وسيلة للاتجاه الى الغرض نفسه ولكن السكينة تعاود الشاعر في رثاء "قيس" [٣] احد الضحايا فيتحول عن الدعوة للثورة الى وصف الشقاء الذى حلّ باهله وبوالديه .

اما الاتجاه الاخر فهو انعكاس احداث فلسطين في الشعر العراقي ، وقد مرت تلك الاحداث بدورين متميزين ، الاول منهما يوم كانت تتخذ التدابير لاقامة وطن قومي لليهود ، تلك الخطط التي رسمت منذ عهد "هرتزل" والبارون هرش ، ولكن الحياة الفكرية والادبية في العالم العربي ، آنذاك ، كانت في دور اقرب ما يكون الى السبات ، وكانت مصر يشغلها صراعها مع بريطانيا ، اما العراق وسورية ولبنان فقد كانت في ظل الدولة العثمانية ،

---

(١) ديوان الجواهرى ٢/ ١١٠
(٢) قصيدة "الى الدكتور هاشم الوترى" من ديوان الجواهرى ٢/ ١٧
(٣) ديوان الجواهرى ٢/ ٣١

فلم يتيقظ العرب ، الا عندما اخذت الامور طورا جدّيا في الحرب العالمية الاولى ، وتبودلت الرسائل والعهود التي تنص على تأييد اقامة دولة يهودية ، وليس يعنينا ان ندخل في تفاصيل الموضوع ، فقد استوعب الكتاب جوانبه بصورة تفصيلية ، وتعرّضوا لحقوق العرب المهدورة ، ومنذ ذلك العهد بدأت الاضطرابات تتفجر ، وبدأ الوعي القومي يستيقظ ، واحس العرب ان جزءا من وطنهم يتهدده الخطر ، ومن هنا كانت تنعكس آثار الاحداث التي تقع هناك في الشعر ، الذى كان اغلبه يدور حول استنهاض الهمم وبث الحماسة في النفوس للدفاع عن الحق العربي .

ومن اولى القصائد التي نظمت حول فلسطين قصيدة للرصافي عنوانها "الى هربر صموئيل" (١) وقدّم لها بقوله " القى يهودا محاضرة تاريخية ، وذكر فيها مدنية العرب في الغرب والشرق ، ولما اتمّها قام هربر صموئيل (٢) المندوب السامي من قبل انجلتره في فلسطين ، والقى على القوم خطابا مؤلفا وعدهم فيه مواعد سياسية سرّبها الحاضرون الذين كانوا

---

(١) ديوان الرصافي ص ٤٣١

(٢) "صموئيل" هذا كان قد ارسل "مندوبا ساميا الى فلسطين ليشرع في انشاء الوطن القومي لليهود ، ولم تكن هذه المهمة سهلة بسبب استياء سكان العرب ونفوذهم" (النتائج السياسية للحرب العظمى (الترجمة العربية) ص ١٨٩)

قد حضروا بدعوة من راغب بك النشاشيبي رئيس بلدية القدس.[١]
وقد قال في تلك القصيدة :

خطاب يهودا قد دعانا الى الفكر وذكرنا ما نحن منه على ذكر
ومجّد ما للعرب في الغرب من يد ومالبني العباس في الشرق من فخر

ولكنك تلمح في ثنايا القصيدة اشارات الى الوئام والتقارب ،ولم تغب
عن خاطره فكرة الجلاء ، والخطر الذى احدق بالعرب فقال :

ولكننا نخشى الجلاء ونتقى سياسة حكم يأخذ القوم بالقهر
وهل تثبت الايام اركان دولة اذا لم تكن بالعدل مشدودة الازر[٢]

ولم نسمع للرصافي بعد هذه القصيدة ذكرا لقضية فلسطين ،كما ان
اصداءها كانت خافتة في الشعر العراقي آنذاك ،فان نتشت عن
القصائد التي اتخذت منها موضوعا ،فانك لا تعثر الا على عـدد
قليل ،يتسم بالاعتدال في لهجته ،ولا تلمح فيه تلك الثورة التي
انطوى عليها فيما بعد .

وحين نقرأ الشعر الذى يدور حول فلسطين ،نرى انه
يختلف حسب الادوار التي مرّ بها فقبل ان يصبح التقسيم في حكم

---

(١) المصدر السابق
(٢) وقد ردّ الشاعر وديع البستاني على قصيدة الرصافي باخرى
على الوزن والقافية نفسها ، مفندا آراءه ومنها :

خطاب يهودا ام عجاب من السحر؟ وقول الرصافي ام كذاب من الشعر؟
وحقّك ما ادرى وادرى ويا لها مراوحة بين الرصافة والجسر

(ديوان الفلسطينيات ١٠٤ ـ ١٠٦)

الواقع ،كان هذا الشعر يتجه الى الوعيد والتهديد ،والدعوة الى المحافظة على حقوق العرب في الارض المقدسة ،واستعادة الذكريات الماضية ،واتخاذ الدين وسيلة لاثارة الحماسة في النفوس، واليك قصيدة للزهاوى عنوانها "الغرب والشرق "(١) ولعلها القصيدة الوحيدة في ديوانه التي يتعرض فيها لقضية فلسطين ، لان الشاعر لم يدرك الامراحلها الاولى :

قد طال للغرب فوق الارض سلطان ... وطال في الشرق اقرار واذعان
الغرب فيه نشاط خلف حاجته ... يسعى ليبلغها والشرق كسلان
الغرب مستلب والشرق مهتضم ... والغرب منتبه والشرق وسنان

وبعد ان يمهد الشاعر لغرضه الاصلي الذى يريد ان ينتقل اليه ، بعد ان يمهد له بهذا الوصف لمظالم الغرب المنصبة على الشرق ، تراه يتحول الى النهى عن ظلم العرب وعدم اغاظتهم :

لا تظلموا عربيا في مواطنه ... فانه مثلكم يا قوم انسان
لقد سلا كل محروب كوارثه ... وليس للعربي اليوم سلوان
سبعون مليون ممن جدهم عرب ... عليك في الشرق يا "بلفور" غضبان

ورغم هذا الغضب كله ،ورغم اعتداء الشرق على الغرب فانك لا تجد تلك الثورة الجامحة في هذه القصيدة ،كما ستشهده في كثير من القصائد التي نظمت بعد وقوع المأساة .

---

(١) ديوان الاوشال ص ٤٦ ،وانظر مجموعة الفلسطينيات ، لجماعة من شعراء العراق

وهذا شاعر اخر هو خضر الطائي ،يلقى قصيدته قبل إن تقوم الحرب العالمية الثانية فترى فيها ما لا تراه فيما قبلها من التهديـــد والوعيد :

فلسطين مهلا ان للعرب غضبة — لها في الاماني ما يجيش وراها
ولا بد من يوم اغر محجّل — يعيد الى تلك الرؤوس نهاها
سنودعها الايام منا امانــة — يرنّ مع الايام رجـع صداها (١)

ثم تقرأ قصائد اخرى فتجد فيها من السخرية والتهكم بالعدو،فيخيل اليك انه لن يستطيع ان يصنع شيئا ،وسيرتد على عقبه خاسئا ، ولهذه الفكرة اصول تاريخية ودينية ،ولنستمع الى صداها في قصيدة للشاعر عبد الستار القرغولي :

بني صهيون ما كنا لنخشى — خصومتكم وخيركم الاخس
وانتم امة شلّت يداهـــا — والسنها تلوّث فهي خرس
اصهيوني يغلب يعربيا — وهل يقتاد اسد الغاب تيس (٢)

وترى الامل باسما ،في ان الظلام الذى لفّ العرب في هذه البقعة سينجلي وسينكشف الصبح ،ويلوح الفرج ،في انقاذ فلسطين من العدو :

---

(١) من مجموعة شعرية للشاعر خضر الطائي ،وقد انشدت في ليلة الاسراء سنة ١٩٣٦

(٢) من قصيدة القاها الشاعر في نادى المثنى ببغداد سنة ١٩٣٦

ابشرى ان الصباح المرتجى يا فلسطين اراه ينجلى
كيف لم ترتقبي من فـــرج وبنوك الصيد حرز الموئل [١]

ولكن هذه الامال قد تبددت شعاعا ، في الشعر ، عند ما انتقل العرب من هذا الدور الى دور اخر ، رأوا فيه المأساة ماثلة امامهم ، ذلك هو الدور الثاني الذى بدأ سنة ١٩٤٧ ، حين اقرت هيئة الامم المتحدة مشروع التقسيم وخاضت جيوش الدول العربية الحرب ضد العدو ، وانهت بالحالة التي نراها اليوم . وقد احدثت المأساة آثارا بليغة في الحياة الاجتماعية والسياسية والفكرية ، فظهرت مشكلة اللاجئين ، وهبت الشعوب العربية تطالب حكوماتها باصلاح الاوضاع السياسية ، واتجه الكتاب والمفكرون ، يحللون الكارثة ، ويعينون اسبابها وعواملها ، ويتبينون النتائج المترتبة عليها ، كل ذلك على ضوء الاساليب العلمية ، بعد ان كانت تعالج - في الغالب - ارتجالا وعلى اسس قد تكون بعيدة عن المنطق العلمي .

وفي هذا الدور تغيرت اتجاهات الشعر حيال المأساة ، فبعد ان كان الشعراء يتغنون بالمجد التليد والعهود السالفة ، وبعد ان كان الشعر يدور على التهديد والوعيد والسخرية من العدو تحول الى السخرية من هذه الامة التي لم تستطع ان تحافظ على اجزائها ، وطغت روح اليأس والخيبة ، فصار الشعراء لا يكترثون لهذا الماضي طالما استلهموه ، في بعث العـــزة

---

(١) من قصيدة للاثرى في مجلة الرسالة ٢٨٢/ ١٩٣٨

القومية ، والحمية الوطنية في النفوس ، ولنستمع لمثل هذه الاصداء في قصيدة عنوانها "العبد السيد" (١) للشاعر عدنان الراوى نظمها على لسان اللاجئين :

لقد كان لنا ماض　　　وكنا اهل اعراض
فصناها باربـاض　　　وبعناها لاغراض
وصرنا تحت انقاض
فاين العز والمجد
ولي قيد
انا العبد

وقومي من هم قومي　　　اباة الذل والضيم
لقد كانوا ... وبالرغم　　　اصاخوا اليوم للظلم
وذاقوا لذة السلم

وقام الشعراء يندد ون بالحكومات العربية ، كما قاموا يسخرون من الجامعة العربية وينعون عليها اهمالها واضاعتها الوقت في اعمال لا تجدى . والاتهام الذى وجه الى الحكومات يتعلق بقبولهـــا الهدنة الاولى ، فهي ، على رأى الكثيرين قد اضاعت فرصة النصر للعرب ، وهيات للعدو من الوقت ما استطاع به ان ينظم قـــواه ، ويقوم بالحرب مرة اخرى ، استطاع ان يحقق فيها امانيه ، ولنقرأ بيتين من قصيدة "على ظلال فلسطين" (٢)

---

(١) ديوان من العراق ص ٧٧

(٢) جريدة الاستقلال ٧٤٤/ ١٩٤٩ ، وانظر مثل هذا المعنى في قصيدة "امين الجامعة العربية" رباعيات الحبوبي ص ٤٧

حكومات تجيد صناعـــــة الاقوال والخطب
وجامعة تضيع الـــوقـــت فـــي اللعـــب

ومن قصيدة عنوانها "بعد النكبة" (١) للشاعر خالد الشواف :

وهؤلاء بنو الاعمام لا وطن ... البغى مزقهم مستأسدا مزقا
قل للذين تنادوا للحمى فاذا ... ما اوشك النصر يدنو اصبحوا فرقا
مثلتموا في عراص المجد مهزلة ... امسى يقهقه منها العار مختنقا
احلتموا الظفر الداني مهادنة ... خرقاء ليس سواكم من بها ارتبقا

ووقعت على انجلترا وامريكا مسؤولية الكارثة لانهما اعانتا على قيام المخلوق الجديد ، وبذلك اضيعت حقوق العرب فقام الشعراء ينعتون على حكوماتهم تعلقها بهاتين الدولتين :

شدوا بذيل غراب امة ظلمت ... تطيران طار او تهوى اذا وقعا
وخوفوها "بدب" سوف يأكلها ... في حين (تسعون عاما) تأكل السبعا
وضيقوا افق الدنيا باعينها ... بما استجدوه من بغي وما ابتدعا
واودعوا لغلاظ من زبانية ... حمقى حراسة قرطاس لهم وضعا
وذاك معناه ان بيعوا كرامتكم ... بيع العبيد بتشريع لكم شرعـــا (٢)

وعلى هذا المنوال راح الشعراء يمعنون في التنديد بحكوماتهم التي ارتضت ان تنهج على ما ترسمه السياسة البريطانية الاميركية ، ونعوا عليها هذا الاستخذاء والخضوع ، وفي ذلك يقول شاعر منهم :

---

(١) من مجموعة خطية للشاعر

(٢) ديوان الجواهرى ٢/ ٥

ايحسب اذناب الحليفة اننا نحاذر ارهاقا ونرهب عاتيا
وراحوا يسومون البلاد رخيصة فلم يدركوا منها منى وأمانيا
"ترومان" ان شمرت للظلم ساعدا سنشهره للحق عضبا يمانيا (١)

ومن قصيدة انشودة "الحق" :

"ياترومان" ما لقيت بهــذا الفعل الا العمى والخسارا
ان شعبا تسوسه سوف يلقي بك خزيا وسوف يلقي بوارا (٢)

اما حديث اللاجئين ، فقد كان موضوعا لعدد من القصائد ، اتخذ معظمها اسلوبا قصصيا يدور على المآسي التي وقعت لهوءلاء المحروبين ، وعلى الفقر والحرمان الذى اوردهم من الموارد ما لا يتلاءم والروح الانسانية .

واليك احدى هذه القصائد وقد القى الشاعر فيها الحديث على لسان احد هوءلاء اللاجئين :

اذلت قواى الجــراح وعض الاذى ارجلــي
واوهن قلبي المعذب عبء الاسى المعـــول
غريب بعيد الديار افتش عن مــنزلـــي
احن حنين الطيــور الى وكــرى الاعــزل
واشدو ولكن الـــى ضمير الدجى الممحــل
تهربت مــن حاضــر لاشقــى بمستقبــــل
ولا شيء الا بقايــا جراح فقد كان لـــي
... زمان به المستحيـــــــل جناح الى ماملــي

---

(١) للشيخ احمد الجزائرى (مجلة العرفان) ج ٥ سنة ١٩٤٨
(٢) من مجموعة خطية للشاعر خضر الطائي

ايا نفس سال الربيـع   جراحـا على المنجل

سابقى اناجي الشموع   على ليلـي الاليـل
واومئ للذكريـــات   وان تعبت أنملـي
واسأل اين الصباح   فقد ضل عن هيكلي (١)

ومما ينم عن ذلك التأثر العميق مجموعة شعرية لعدنان الراوى جعل اكثرها حول قضية فلسطين ،قبل العاصفة ،وحين وقعت ،وما حدث بعدها ،وقبل ان يعرض قصائده يصـــف العواطف التي خالجته ،في مقدمته لهذه المجموعة الشعريـــة التي اطلق عليها "من العراق" :

واليوم وانا اكتب مقدمة هذا الكتاب ،احس بالالم الدفين ينطلق من كل جوانب قلبي ،واحس بسحابة كئيبة من الخذلان واليأس تسد علي جميع منابع النور ومنابت الامل ويخيّل الي بان هذه السحابة لن تنقشع كسحائب الصيف ،وفي هذا الجو النفسي ذاتـه وهذا الاحساس العاطفي نفسه نظمت قصائد الفصل الثالث "بعد العاصفة" الذى هو نهاية الحكاية بالنسبة للقضية العربية .... وماذا تكون احاسيس الشاعر وامته في غمار حرب تنتظرها منـذ امد غير يسير ،وماذا تكون الانفعالات ،وجيوش الدول العربية

---

(١) من قصيدة عنوانها "لاجئ" ارسلها الي الشاعر كاظم جواد ، وانظر قصيدة للجواهرى عنوانها "اللاجئة في العيد" (ديوان الجواهرى ٣/ ١٨٣) وقد استعار الفكرة الاساسية فيها من قصيدة "الريال المزيف" للشاعر بشاره الخورى (الهوى والشباب ص ٥٩)

تخوض المعركة ، وماذا تكون التأثرات والشاعر نفسه من الداعين الى تلك الحرب" (١)

ولا يذهب بك الفكر الى ان هذا الديوان عبارة عن ملحمة شعرية تتسلسل اجزاوءها وترتبط فيها المقدمات بالنتائج ، بل هو مجموعة من القصائد تتصل بالقضايا الاجتماعية والسياسية للعالم العربي ، ولكنه خص مأساة فلسطين بجزء كبير منها ، وقد وفق من الناحية الفنية ايما توفيق .

وثمة شاعر اخر لم يكن اقل توفيقا ممن سبقه ، ان لم يكن قد بذّ غيره ممن تعرضوا للموضوع نفسه ، ذلك هو محمود الحوت الذى كان احد الذين نزلت بهم المأساة ، فعايشها وشهدها عن قرب ولمس اثارها في نفسه ، فكان خلاصة شعوره ملحمة اطلق عليها "المهزلة العربية" وقال عنها انها "اناشيد عربي من فلسطين ضل في الافاق" ولنستمع الى احدى مقطوعاته :

ويلي على امة نامت على ضعة	وما تنفس في امجادها رمق
كأن ما قيل عن تاريخ صولتها	اسطورة مد في اجالها الحمق
والقادة الصيد جزارون ما شبعوا	فهل تمرد من قطعانها عنق
خسئت من امة عزلاء لاهية	والموت من حولها يدنو وينطبق
ولم تزل في صراع الموت عارية	معطاء يصرخ فيها الفجر والشبق
الى متى انت يا شعبا يروح به	زور ويغدو به في شرقه ملق
تخشى الاولى حفروا الاجداث وانتظروا	على المقابر ان يودى بك الفرق (٢)

---

(١) من العراق ص ٥ — ٦

(٢) المهزلة العربية ص ٢٢

هذا ومن الصعوبة على الباحث ان يستقصي كل ما نظم عن مأساة فلسطين (٢) وعن الاثار التي تركتها في الحياة الفكرية ، وحسبنا اننا المنا بالاتجاهات العامة لتأثيرات هذه المأساة .

٣ ـ فيصل الثانــي

في يوم ٢ مايس سنة ١٩٥٣ تم بلوغ الملك فيصل الثاني الثامنة عشرة من عمره ، وفي اليوم نفسه احتفلت بغداد بانتقــال السلطات الدستورية اليه ، بعد ان كانت بيدى خاله الوصي عبد الاله طوال فترة قصره ، وتقترن هذه الذكرى ، كذلك ، بقيــام الحكم الوطني ، على عهد جده فيصل الاول ، موءسس الدولــة العراقية الحديثة .

ولئن كانت بغداد بالامس ، ميدان تنافس بين الشعراء ، وكان هذا التنافس ينبعث من بلاطات الخلفاء ، وليس هنا موضـع الاطالة ، في ذكر الشعراء الذين ظهروا في فترات متعاقبة واسماء الخلفاء الذين بذلوا قصاراهم في تشجيع الشعر ورعايته ومع ذلك كله فلا تسمع من الشعر في ذلك العهد الا ما يدور في نطـاق ضيق ، من الاغراض التي الفها شعراء تلك العصور ، على ان في اتساع الحركة العلمية وعمقها انذاك ما ملأ الفراغ الذى تركه الشعراء في نطاق الشعر .

اما اليوم فان الاحساس الوطني ، والشعور بان الملـك

---

(١) انظر الفلسطينيات (مطبعة الغرى في النجف) ١٩٣٩

رمز لحياة الامة ومستقبلها هو الذى يلهم الشعراء القصيد ، ومن هنا نلاحظ الامال التي يعلقها الشعب على مليكه هي في مطلع ما يستهل به الشعراء قصائدهم ، ولنستمع الى "تحية ملك وامل شعب" (١) للشاعر عبد الحسين الملا احمد :

يا فيصل الشعب ان الشعب يبتهل … يرجو من الله ان يحيا بك الامل
دم العراق وعين الله حارسه … واهنا بعرش اليك اليوم ينتقل
اصبحت ملجأ هذا الشعب ان عصفت … ريح الخطوب به او ضاقت السبل
كل العيون الى مرآك شاخصة … يسرها انها بالعز تكتحل

ثم يشير الشاعر الى ما يعانيه الشعب ، وانه وليس هنالك من يستطيع انقاذه الا الملك الذى يتحلى بالصدق والاخلاص والعمل :

مولاى شعبك يشكو سوء حالته … فقد اضر به الاهمال والكسل
وليس الاك يا ابن الاكرمين فتى … يرجى به الصدق والاخلاص والعمل

وما هكذا كان الشعراء يمدحون الملوك بالامس ، يوم كانوا يستهلون تلك المدائح بالغزل والنسيب ، ثم يأخذون في وصف الممدوح ويبالغون في الوصف ، وانك حين تقرأ قصيدة ابن هاني في مديح المعز والتي يستهلها قائلا "ما شئت لا ما شاءت الاقدار" (٢) ترى الى اى حد بلغ الاسراف في الوصف ، ولكن شعراء هذا

---

(١) جريدة الدفاع ٦ ايار سنة ١٩٥٣

(٢) ديوان ابن هاني الاندلسى ص ٦٢ ، وانظر كذلك ديوان داعي الدعاة ٢١١ — ٢٣١

العصر ، وقفوا موقفا معتدلا [١] ـ على الاجمال ـ وخلعوا من الصفات ما ينطبق عليه الواقع او يقرب منه ، وبينما كان شعراء الامس يستمطرون كف الممدوح ، طالبين نواله تلميحا او تصريحا ، نرى شعراء اليوم تحدوهم العاطفة الوطنية ، ويدفعهم ولاؤهم لامتهم ان يتغنوا برمز المجد فيها ، ولنستمع في ذلك الى قصيدة عنوانها "يا صاحب التاج": [٢]

يوم لبغداد ما ابهى مباهجه   يا صاحب التاج يا خير الرجال ابا

ثم يدعو الشاعر الى النهوض ، معربا عن حال الشعب بانه مستعد للتضحية والجهاد في سبيل الوطن وراء سيده :

يا ابن الاباه بلغنا فيك غايتنا   فانهض بنا اننا جند لكم وظبا

ثم تلوح له اطياف الهزيمة والخيبة التي حلت بالعرب ، ولكن هذه الاشباح سرعان ما تتلاشى حين يطلع عهد فيصل الثاني ، الذى ستتحول الهزيمة فيه الى نصر :

والشعب يستقبل العهد الجديد وذا   مليكه فيصل الثاني له اعتصبا
سينقذ العرب مما قد احاط بها   ويستعيد تراثا قبل ذا سلبا

ولعل اروع ما قيل في هذه المناسبة قصيدة "تحية الملك" [٣]

---

(١) اقرأ مقال الدكتور مهدى البصير ، وعنوانه "جولة في الشعر العراقي الحديث" في مجلة دار المعلمين العالية . حزيران سنة ١٩٥١ .

(٢) جريدة الزمان ٥ مايس سنة ١٩٥٣

(٣) جريدة الزمان ٥ مايس سنة ١٩٥٣

للجواهري التي يستهلها بقوله :

تـه يا ربيع بزهرك العطر الندى   وبصنوك الزاهي ربيع المولد

ثم يدعو الشاعر ان يعيد الى بغداد اياما مفعمة باللطف والكـرم والسؤدد ، يوم كانت قبلة الدنيا وحاضرة الخلافة :

فاعد على بغداد ظل غمامـه   باللطف تنضح والندى والسؤدد
ايام كان لمذهب متعـــرق   تعنو الورى ونموذج متبغدد

ويخاطب الوصي عبد الاله ، الذى كان الحارس الامين للعرش قبل ان يبلغ الملك فيصل قائلا :

عبد الاله وفي المكارم شركة   شاركت في خصل المليك الاوحد
يا ابن الهواشم حرة عن حرة   وابن الخلائف اصيدا عن اصيد
وابن الاباطح من قريش فجوة   هي في المكارم ذروة للمصعد

ثم يعود الى مخاطبه الملك ، والشاعر هنا يمعن في عرض الصور الاخاذة من ربيع باسم وطيف امس سعيد ، وصفوة امل مرجـى ، وتحسن بصفاء الاسلوب وسلاسته فكانك تستعرض تلك الصور التـي رسمها الشاعر :

يا نبتة الوادى ونبعة عطره   يا نبعة الفجاج في اليوم الصدى
يا خطرة الامس المعاود طيفه   يا صفوة الامل المرجى في غد
اشرق على الجيل الجديد وجدد   وتول عرش الرافدين واسعد
وقد الجموع الى الخلاص تغز به   وبهم ، وخلد امة وتخلـــد
واعمد لما شاء البناء فاعلـــه   شرفا وما لم ينجزوه فشيد
وتحر ادواء الشباب فداوها   بالرفق يزدد من هواك وتزدد

وهكذا يدير هذه المعاني باساليب متعددة ، اذ يطلب الى الممدوح ان يكون قائدا للامة يقيل عثراتها ، ويعالج ادواءها ، ويأخذ بيدها الى محجة الصواب ، ويزيج عنها ما اثقلها من قيود ، والامة بدورها تكلوءه بعواطفها ، وترعاه بقلوبها ولنستمع الى قصيدة "التاج بين جيلين"(١) لعدنان الراوى :

الرافدين تحفز ووثوب   والظامئان نواظر وقلوب

ثم يستعرض الشاعر مشاكل الجيل الجديد وامانيه :

جيل تفرد بالاسى ، بيمينه   صاغ القيود وما لديه مذيب
واقام بالاخرى شوامخ مجده   تهوى عليه فركنها محدوب

ثم يعرب عن اماله في مستقبل العراق :

ومع العراق وقد تسامق مجده   جيل تحفزه الخطوب نجيب
ولديه في العرش المكين يصونه   ملك يشب وقد نماه حليب
والتاج ترفعه العواطف للعلى   وتحفه الامال فهو حبيب

ونجتزىء بهذا القدر من الشعر ، مما قيل في العهد الجديد ، عهد فيصل الثاني ومن الصعوبة الاحاطة بكل ما قيل في هذه المناسبة ، ولكن النماذج التي اوردناها تقدم صورة لما قيل ، سواء كان ذلك من حيث الاسلوب او المعنى .

---

(١) ديوان "من العراق" ص ١٦

الخاتمــــة

لقد رأينا التطورات والاتجاهات الفنية التي طرأت على الشعر السياسي في العراق الحديث والتيارات والاحداث السياسية التي عملتعلى توجيهها ، وفيما يلي اجمال للنزعات والاتجاهات الفنية الجديدة ،خلال هذه الفترة :

١ ـ النزعة الوطنية

قويت هذه النزعة بعد انتهاء الحرب العالمية الاولى ،لان العراق اقام بناء سياسيا وطنيا ،بعد ان كان جزءا من الامبراطورية العثمانية ،وبالرغم من الاحتلال البريطاني بعد هذه الفترة، فلم تنطفيء هذه الروح الوطنية ، بل زادها الاحتلال شدة وقوة،مما ادى الى انفجارها في الثورة العراقية ثم قيام الحكم الوطني الذى كان استجابة لامال الشعب العراقي .

وكان من اهم العوامل في يقظتها ،ان العراق رضخ مدى عدة قرون الى الحكم الاجنبي فلقى منه الاهوال والمصائب ،كما ان ظهور هذه النزعة ،لدى الامم على اختلاف اجناسها ،كان له الاثر الواضح ،في سائر البلدان العربية ،ومن ضمنها العراق،هذا بالاضافة الى الحقوق والواجبات المتعلقة بكل مواطن ،والتي لم تكن موجودة من قبل ،فقد اصبح من واجب كل مواطن ان يساهم في خدمة امته ، ويتمتع لقاء ذلك بحقوقه الطبيعية ،كما ان العواطف التي نجدها مبثوثة في الشعر العربي القديم ،من تعلق الشعراء باوطانهم ،انحدرت الى الشعر المعاصر.

وقد رأينا كيف ان الشعراء قاموا يتغنون بما يختلج في

نفوسهم من عواطف وطنية في كثير من المناسبات ، فهم يبثون الوطن آمالهم وامانيهم ، ولئن كان وطن ابن الرومي ، بالامس ، بيته الذى اضطر الى بيعه تحت عبء الدين ، فان الوطن ، لدى الشعراء المعاصرين ، هو الارض التي تقوم عليها الدولة ، وبعد ان كان الشاعر العربي بالامس يناجي حبيبته في كل مناسبة ، اصبح الوطن هو " ليلى " الشاعر الزهاوى ، وحين تقرأ نجواه معها ، يخيل اليك انه يناجي غادة هام بها حبا ووجدا ، فما تنتهي من القصيدة حتى تدرك ان الشاعر يخاطب وطنه الحبيب .

ومن مظاهر هذه النزعة الدعوة الى ان يقوم البرلمان على انتخاب صحيح ، وان تكون الحكومة منبثقة عن ارادة الشعب ، وقد رأينا كيف وقف الشعراء ، من البرلمان اول تأسيسه ، ثم اشتدت حملاتهم عنفا عليه ، واتجهت معظم تلك الاتهامات ، على ان البرلمان ، لا يقوم على تمثيل صحيح لارادة الشعب ، وان اعضاءه يؤتى بهم اعتباطا ، ومن ثم فان المحافظة على حقوق الشعب لا تتم ، الا اذا استطاع هذا الشعب ان يملي ارادته بواسطة ممثليه على الحاكمين .

ومنها الدعوة الى تحرير المرأة ومساهمتها في الحياة العامة ، فالروح الوطنية يجب ان تغرس في النفوس منذ الصغر ، ولا تستطيع امرأة جاهلة ان تلقن بنيها حب الوطن والتفاني في سبيله ، لانها تعيش في افق فكرى محدود ، لا تستطيع معه ادراك هذه النزعة الجديدة ، التي اصبحت المرأة تتلقاها في قاعات الدرس ، وعلى صفحات الكتب ، اكثر من تلقيها اياها في البيت ، او المجتمع ، وثمة ناحية اخرى ، هي ان المرأة تكون نصف المجتمع على وجه التقريب ، وبقاء هذا النصف من غير ثقافة ، امر يؤدى ، الى ضعف الكيان الاجتماعي ، الذى يقوم عليه الكيان السياسي للامة ، وكذلك فان السماح للمرأة بممارسة حقوقها

السياسية كان جزءا من الدعوة الى تحريرها ، وان اشتراكها في الانتخابات العامة ، يجعل تلك الانتخابات اقرب الى التمثيل الصحيح .

ومن مظاهر هذه النزعة الوطنية الدعوة الى الاخذ باسباب العلم والحضارة ، وهذه الدعوة وان كانت قد انبثقت في العهد العثماني ، فقد اشتدت في فترة الحكم الوطني ، ولعل مرد ذلك الى انقسام الناس فريقين : فريق يدعو الى المحافظة على التراث الثقافي الاسلامي ونبذ التيارات الثقافية الغربية ، بما تحمله في ثناياها من تجديد وآراء لم يألفها المجتمع العربي من قبل ، لذلك فان الدعوة الى العلم كانت تتجه نحو الثقافة الغربية ، وما يتصل بها من اختراعات واكتشافات ، والاعتماد على ذلك كله في بناء الكيان الجديد ، وقد اخذ الزهاوي بقسط وافر في هذا المجال ، ولقي متاعب جمة من وراء دعوته هذه ، اضطر معها ان يهجر العراق حينا من الدهر .

واصبحت النزعة الوطنية واضحة في المديح ، فلم يعد ذلك المديح منصبا على الممدوح فحسب ، بل اصبح متصلا بالاماني الوطنية ، ومتناسبا مع ما يقدم الى البلاد من اعمال مثمرة ، ومجهودات ترمي الى رفع مستواها ، ولئن وجدنا فريقا من الشعراء يسلكون الاساليب القديمة في مدائحهم لرجال السياسة والحكم من اشادة بامجادهم وانسابهم وكرمهم ، فقد اخذ هذا اللون من الشعر يضمحل ويحل محله لون اخر يتجه الى تمجيد الاعمال التي قاموا بها ، والخدمات التي قدموها لوطنهم ، ومطالبتهم بالاصلاح وتحقيق اماني الامة ، كما نلمس في هذا اللون من الشعر قصدا في الغلو ، واعتدالا في خلع الصفات على الممدوح ، وهكذا فقد اتجه هذا المديح اتجاها وطنيا ، بعد ان كان يهدف الى استمطار كف الممدوح والحصول على نواله في الغالب .

اما نقد الحكومة ،فقد برزت النزعة الوطنية واضحة فيه ، اذ اخذ الشعراء ينعون عليها اهمالها لشؤون البلاد ،ومواكبتها للتيارات الخارجية ،وعدم اكتراثها بمصالح الشعب ،ومن هنا وقف الشعر السياسي ،اغلب الاحيان ، الى جانب المعارضة ،وكلما اشتدت وطأته في النقد والتجريح كان اكثر قبولا ورواجا لدى الرأى العام ، بصرف النظر عما فيه من خصائص فنية ،لان الناس ،يجدون فيه ،تعبيرا عما في نفوسهم ،تحدوهم الرغبة الى القيام باصلاحات واسعة النطاق ، تزول معها العلل الاجتماعية الموروثة ،والمشاكل القائمة ،وعلى هذا فان موقفهم لم يكن سلبيا مطلقا ،انما كان يتجه الى حكومات تحقق امانيهم وترضي نزعاتهم ،وقد راينا هذا اللون من الشعر ،يزداد قوة وعنفا ، على مرور الايام ،منذ بداية الحكم الوطني ، فيبلغ ذروته بعد نهاية الحرب العالمية الثانية ٠

وانكشفت النزعة الوطنية ،لدى الشعراء ،عند تعرضهم للاحداث السياسية التي مرت بها البلاد ،وبمقدار ما انطوت عليه تلك الاحداث من خطورة تتعلق بمستقبل الوطن ،واماني الشعب اثارت الشعر ووجهته الى هذا الاتجاه ،ففي فترات القلق السياسي ،وفي تعرض الوطن للاخطار، وفي تبوء المناصب العامة ،حين يتجه الشعراء الى معالجة مثل هذه الموضوعات لا ينسون آمالهم واما نيهم الوطنية ٠

٢ ـ النزعة القومية

لقد اشرنا كيف سرت هذه النزعة ،واجتاحت اقطار العالم بعد قيام الثورة الفرنسية ،ويقظة الروح القومية في اوربا ،ولئن برزت هذه النزعة في الادب العربي في العصر العباسي ،فانها كانت ذات اثر ضعيف في الشعر ،وقد اتجهت آنذاك الى التفاضل بين العرب وغيرهم ،استنادا الى رابطة النسب ، اما اليوم فانها ظهرت في الشعر

منطوية الى الدعوة الى توحيد كلمة العرب، والتعاون بينهم على اساس القومية ·

ومن العوامل التي عملت على تقويتها، ان الرابطة العثمانية، التي قامت على الدين، وظهرت اصداؤها في الشعر العربي، على الاجمال، لم يجد العرب فيها تحقيقا لامانيهم، فحين نقض الاتحاديون عهودهم ادرك العرب ان الدولة العثمانية قد اتخذت من هذه الرابطة وسيلة لتثبيت كيانها السياسي، كما ان النزعات التي ظهرت في اوربا على اساس الدعوة الى فصل الدين عن الدولة، سرت آثارها الى الشرق، فقامت الدعوة على ان الدين رابطة بين الانسان وربه، وان الدين لله، اما الوطن فانه للجميع، ومن هنا، زالت — الى حد كبير — الدعوة الى الرابطة الدينية، لتحل محلها الرابطة القومية، التي انعكست آثارها واضحة في الشعر العراقي الحديث ·

وان الاحداث التي وقعت في معظم اجزاء العالم العربي، جعلت الناس في هذا العالم يتجهون هذه الوجهة، متخذين من رابطة التاريخ واللغة والاماني المشتركة، وسيلة لاقامة كيان جديد فقد راينا كيف تعرضت مصر للنفوذ البريطاني، وكافحت طويلا كي تتحرر منه، وقامت سوريا ولبنان، تكافحان الانتداب الفرنسي، وقام المغرب العربي يعمل لنيل حريته من النفوذ الاوربي، وقد بذل العراق جهودا جبارة للتخلص من النفوذ البريطاني، وقد نزلت بهذه البلاد كلها، مصائب جمة، وتعرضت للخسائر والتضحيات الجسيمة، في كفاحها من اجل التحرر، وقد احسّ كل قطر من الاقطار انه يستطيع ان ينال نجاحا اكبر اذا تعاون مع تلك الاقطار، التي يتصل معها برابطة القومية ·

وكانت قضية فلسطين، خاتمة الاحداث، التي المت بالعرب، وجعلتهم ينظرون الى الاخطار التي تحدق بامتهم، وانه ليس ثمة

سبيل لدفع هذه الاخطار ، الا بقيام وحدة قومية ، ولئن اتجه الشعر العراقي حيال هذه المأساة وجهات متعددة ، فانها في جملتها تدعو الى التعاون بين الشعوب العربية ، لرد الخطر المشترك ، وقد اشترك الشعراء والكتاب في هذه الدعوة ، وطغت على الشعر بعد قرار التقسيم ، فامتلأ الشعر في هذه الفترة ، بروح اليأس والنقمة والالم .

٣ ـ النزعة الانسانية

برزت هذه النزعة في الشعر العراقي بصور متعددة فاتجهت الى العطف على الفقراء والمحرومين والدعوة الى تخفيف ما يقاسونه من آلام واوصاب ، وقد اتخذ الشعراء في موقفهم من هذه المشكلة الاجتماعية اتجاهين : الاول ، ان هذه المشاكل وليدة الاقدار والقسم ، وانها فوق ارادة الانسان ، وخير وسيلة لتخفيف وطأتها هي العطف على اولئك الفقراء ، وبذل المساعدات لهم من جانب الاغنياء ، اما الاتجاه الثاني فلا يرى فيها الا انها وليدة ، النظم السياسية القائمة ، ومن ثم فان العطف والرحمة لا تجديان نفعا في حل هذه المشكلة ، انما يتم حلها عن طريق الثورة ، وتحطيم النظم القائمة ، ونلمس هذا الاتجاه في قصائد الجواهرى وبحر العلوم .

واستمدت النزعة الانسانية بعض اسسها عن المذاهب السياسية الحديثة ، فان الدعوة الى السلم ونبذ الحرب ، ووصفها بانها وليدة الاطماع والمآرب المادية ، ولئن كانت بعض تلك المذاهب السياسية تدعو الى استخدام القوة ، فان منها ما يدعو الى التعاون والتآزر بين الامم والشعوب على اختلاف اجناسها ، وذلك وفقا للعقيدة او المذهب السياسي الذى يوءمن به الشاعر .

وكانت الحملات على الاستعمار جزءا من هذه النزعة الانسانية ، لان هذا النظام يقوم على الاستغلال ،مما لا يتفق والمبادئ الانسانية ، ولئن اتخذت كل الدول المشتركة في الحرب الحرية شعارا لها ،فان هذه الدول معظمها استهدفت لنقد الشعراء ،واتهمت بانها جميعا تحارب لاغراضها الخاصة ،ومآربها الاستغلالية .

وفي الحرب العالمية ظهرت في الدعوة الى تجنب الحرب ، لما تنطوى عليه من ويلات تنصب على المحاربين ،والمدنيين في آن واحد ،فقد شهد الشعراء تلك المواكب التي تساق الى الموت قسرا ، وتلك القوى الجبارة التي تسخر لاغراض الحرب ،وتلك الموارد الهائلة التي تستهلك في امور لا تعود على البشرية الا بالويل والدمار ، فظفقوا يدعون الى السلم ،ويصورون تلك الويلات ويندون باولئك القادة الذين دفعوا العالم الى هذه الهاوية .

وابصر الشعراء الضائقة الاقتصادية التي نزلت بالناس من جراء الحرب ،وكيف ان موارد القوت كادت ان تنضب ،وقد بلغ الغلاء حدا عاليا ،فاخذوا يعرضون صورا مختلفة لمثل هذه الحالات في قصائدهم ،ثم ينتهون الى ان زوال الحروب سيحقق للانسانية قسطا وافرا من السعادة والتقدم نحو الخير .

ب ـ الاتجاهات الفنية الجديدة

١ ـ الملاحم

ونريد بها تلك القصائد الطوال التي تدور حول حوادث معينة ،ومثل هذه الملاحم لم يألفها الادب العربي من قبل ،وقد ذهب الادباء مذاهب شتى في تعليل ذلك ،وليس هنا موضع ذكر تلك الاسباب

التي ادت الى خلوّ الادب العربي منها ،وكل ما نقوله انها لم تظهر الا في وقت متأخر ، وكانت وليدة التيارات الخارجية ،ولعل شعراء مصر كانوا في طليعة من عالج هذا الفن في الادب العربي ثم انتقل الى سائر الاقطار ،وكان رائد هذا الفن في العراق جميل صدقي الزهاوى الذى قد استمد ملحمته " ثورة في الجحيم " من رسالة الغفران للمعرى ،والكوميديا الالهية لدانتي ،فتحس حين قراءتها انها تنصب على وجهة تتعلق بالدين ،ولكنك لا تنتهي من قراءتها حتى تحس فيها ثورة على النظام والاوضاع القائمة ،وقد اعرب عن ذلك بقوله " عجزت عن ايقاد ثورة في الارض فاوقدتها في السماء " وقد جعل الفكرة الاساسية في هذه الملحمة ان اهل الجحيم ،يضيقون ذرعا بما يقاسونه من آلام وعذاب ،فيقومون بثورة يستولون فيها على الجنة ،ويتخذونها مقرا لهم ،ومن هنا يستطيع القارئ ان يلمس الغرض الذى اتجه اليه الشاعر في ملحمته هذه .

ولئن كانت الحرب موضوعا لمعظم الملاحم في العصور السالفة ،فان الشعراء قد اتخذوا من الاوضاع السياسية القائمة موضوعات لملاحمهم ،ففي "المهزلة العربية" لمحمود الحوت وفي "الحرب والسلم" للسماوى و"حفار القبور" لبدر شاكر السياب ،وفي غير هذه الملاحم ،تتبين الاتجاهات السياسية فيها ،على ان اكثر المعاني التي تدور حولها ،منبثق عن المذاهب السياسية الحديثة ،ولعل ذلك وليد الصراع القائم اليوم بين الاتجاهين المتناقضين اللذين قامت الدعوة اليهما ان "الفن للفن" ام "الفن لخدمة المجتمع"؟

وقد انتشر هذا اللون من الشعر خلال الحرب العالمية الثانية ،وفي الفترة التي اعقبتها ،وغلبت النزعة الرمزية على كثير من هذه الملاحم ،وتلمس فيها آثار التجارب الشعورية التي يحياها

الشعراء ، وهو اتجاه جديد في الادب العربي الحديث ، ونستطيع ان نتبين آثار هذا التحول من قراءتنا للشعر العربي القديم ، الذى عنى في الغالب ، بالقاء الحقائق ، دون الكشف عن النوازع التي تملأ قلب الشاعر .

٢ ـ المسرحيات الشعرية

لئن بلغت المسرحية الشعرية قمتها في الادب الانجليزى على يدى شكسبير ، كما الفها الناس في الغرب في مختلف الممالك والعصور ، فان الشرقيين لم يعرفوها الا في القرن العشرين حين تم الاتصال بالثقافة الغربية ، ولعل اول ما يطالعنا في الادب العربي مسرحيات شوقي ، الذى يعد رائد هذا الفن ، فاتخذ من الاحداث السياسية ، ومن قصص الحب ، موضوعات لتلك المسرحيات الشعرية ، وقد نما الى جانبها لون اخر هو المسرحيات النثرية ، التي كانت اكثر عددا واخصب من الوجهة الفنية .

وكانت اولى المسرحيات ، التي تلمس فيها اتجاها سياسيا هي "ثورة العراق الكبرى" وقد اشرنا اليها ، وذكرنا ما تنطوى عليه من نقص فني ، وان قوتها تكمن فيما تثيره من احساس يتعلق بالثورة التي قام بها العراقيون ضد الحكم البريطاني ، ولعل هذا الضعف الذى نلمسه في المسرحية في العراق ، ناشيء عن ضعف المسرح العراقي نفسه ، كما هو ناجم عن انصراف الشعراء عن هذا اللون من الشعر الى غيره ، ولعل في مستطاع الاديب ان يقتنص من المعاني في كثرة ، وان يجعل الحادثة اكثر انطباقا على الواقع منه في الشعر .

وهناك مجموعة من المسرحيات للشاعر "عبد الستار القرغولي" جعل عنوانها "روايات من تاريخ العرب" وللمؤلف نفسه مسرحية

"عدل الخلفاء" وكلتاهما استمدتا من التاريخ العربي ،وقد اراد الشاعر ان يبعث العزة والنخوة في نفوس النشئ ،فهو يتحدث عن وفاء السموأل ، وعدل عمر بن الخطاب ، وموقف المأمون من وزيره الذى اراد ان يهدم حائط حائك ،فابى رغم ما وعده الوزير به من مال ، وقد نظمت هاتان المجموعتان من المسرحيات لطلاب المدارس، اما غرض الشاعر فهو ،ان يبعث في نفوس هوءلاء الشباب ،العزة القومية ،ويثير فيهم ذكريات الماضي المجيد كي يستمدوا منها قوة تعينهم على خلق مستقبل زاهر لامتهم ،وبث روح العدالة الاجتماعية ، وهكذا نلمس الاتجاه السياسي لهذه المسرحيات ،اما الناحية الفنية فيها فتقوم على الوضوح والبساطة ،مما يتناسب والمستوى العقلي لاولئك الناشئة .

٣ ـ الرمزية

تحدثنا عن الرمزية ،وقلنا انها لم تكن حديثة عهد في الادب العربي ،فقد استخدمها الادباء العرب ،وطرقوا بها ابواب السياسة ،وابواب التصوف ،ولعلنا نجد في قول المعرى :

لا تقيد عليّ لفظي اني   مثل غيرى تكلمي بالمجاز

ما يعطينا صورة عن شعره وايغاله ،في الرمز ،كما ان اصحاب البلاغة قد وضعوا الكناية والاستعارة والمجاز وما اليها ،كي يغني التلميح عن التصريح .

ولم تكن محاولة الرمزيين هي الاولى من نوعها في خروجها على القوافي والبحور، فان الموشحات و الازجال ،كان ظهورها ثورة على اساليب الشعر العربي القديم ،وما نشهده اليوم من شعر حرّ

وشعر مرسل ، واسلوب رمزي ، انما تمثل هذه كلها ثورة جديدة في الادب العربي ، ولكنها ثورة لم تنبثق من صميمه ، انما هي وليدة تيارات خارجية ، انتقلت الى العراق عن طريق بعض البلدان العربية ، كما اشرنا ، ولكنها لم تظهر بشكل واضح في الادب العراقي الا بعد نهاية الحرب ٠

ولئن ادار الغربيون معظم معانيهم في الشعر الرمزي ، على امور لا تتصل بالسياسة فان الادب الرمزي في العراق ، يدور كثير منه حول القضايا والاتجاهات السياسية ، فان فواجع الحرب واحلام المستقبل ، والمآسي الاجتماعية ، كانت اكثر الموضوعات تكرارا في هذا الادب ، ولم يقتصر امرها على الشعر وحده ، بل اتجه اليها القصاصون والكتاب في كثير من انتاجهم الادبي ، وقد تأثر هؤلاء الادباء ـ الى حد ما ـ بما كتب في هذا المجال خلال العصر العباسي الذي استمد منابعه من اصول فارسية وهندية انذاك ٠

ومع اتساع نطاق هذا اللون من الشعر ، فانه ما زال غير مقبول لدى الكثيرين من النقاد والادباء ، فقد وجهت اليه حملات عنيفة ، ولكن اصحابه ما زالوا معنين في السير على الاتجاه نفسه ، وقد اتخذوا من بعض الصحف اللبنانية منابر لهم ، لان انتاجهم يلقى رواجا في لبنان ، الذي انتشرفيه هذا المذهب اكثر من غيره من بلدان الشرق العربي ٠

على ان الامعان في الرمزية ، امعانا تنطمس معه المعاني ، وتختفي الافكار والعواطف التي يريد الاديب عرضها ، يجعل القارئ يتردد في اقباله على قراءة هذا اللون من الادب ، فلم يعد للانسان متسع من الوقت لحل الرموز وفك الطلاسم ، واصبح الاتجاه الجديد هو الميل الى البساطة والوضوح ومن هنا بدأ الرمزيون ـ في الغالب ـ يسلكون طريقا وسطا في انتاجهم فلا يمعنون في الابهام والغموض ٠

٤ ـ الاوزان والقوافي

وظهرت محاولات اخرى لاطلاق الشعر من قيوده ، ومن بينها الشعر المرسل والشعر الحرّ ، ولعل ادباء المهجر كانوا اول من طرق هذين اللونين من الشعر ، وظهرت آثار هذا الاتجاه الجديد في الادب اللبناني ، ومنه سرى الى آداب الاقطار العربية الاخرى ، ومنها العراق ، ولئن كان سيره هنا بطيئا ، فسبب ذلك ان الادب العراقي بالرغم من اتجاهاته الحديثة ، استمر طويلا تحت تأثير المقاييس الفنية القديمة ، بل كان من اخر الاقطار العربية التي خرجت على تلك المقاييس .

ولا تجد شاعرا عراقيا اتجه نحو هذا الاتجاه الجديد قبل قيام الحكم الوطني ، ولكنك تلمح بعض القصائد والمقطوعات في بداية هذه المرحلة لفريق من الشعراء الناشئين آنذاك ، وعلّة ذلك ان التيار الجديد لم يتسن له من الوقت ما يجتاح به الادب العراقي ، هذا بالاضافة الى ضعف المؤثرات الخارجية آنذاك ، حيث كان في معزل عن الحياة الثقافية في مرحلتها الاولى ، وحين تقرأ الزهاوي او الرصافي او الشبيبي وهم رواد الشعر العراقي الحديث ، لا تجد في دواوينهم لهذا الفن من أثر ، بل ان البحور والاوزان التي ساروا عليها في قصائدهم لم تخرج عما رسمه الاقدمون ، وان كان لهم من اثر في التجديد ، فانما يبدو واضحا فيما اودعوه اشعارهم من معان وافكار جديدة .

وقد طغى هذا الاتجاه الفني الجديد ، خلال الحرب العالمية الثانية ، وفي الفترة التي اعقبتها ، وسار مع الشعر الرمزي ،

جنبا الى جنب ، ونلتمس في "اباريق مهشمة" و "المومس العمياء" و "ازهار ذابلة" امثلة واضحة على ذلك ٠

ولسنا نستطيع ان نتنبأ الى اين ستقف الثورة على الشعر القديم ، و لكننا نستطيع ان نقول ان الشعر السياسي الحديث ، في جملته ثورة على الشعر القديم ، فقد ادار الشعراء فيه قصائدهم على معان وافكار لم يألفها الادب العربي القديم ، وسلكوا من الاساليب الجديدة التي لم يطرقها القدماء من قبل ، ومع ذلك كله فانه لم يتحرّر تحررا تاما ، بل ما نزال نلمح في معانيه و اساليبه آثار الفن القديم ٠٠٠

مصـــادر البحـث

الدواوين والملاحم والمجموعـات الشعريـــة

١ ـ الاسدي ـ حسن احمد : مأساة فلسطين ، بغداد ، ١٩٤٨

٢ ـ الباجه جي ـ ابراهيم منيب : زنابق الحقل ، بغداد ، ١٩٣٦

٣ ـ بحر العلوم ـ محمد صالح : العواطف ، النجف ، ١٩٣٧

٤ ـ البستاني ـ وديع : ديوان الفلسطينيات ، بيروت ، ١٩٤٦

٥ ـ البصير ـ محمد مهدي : الشذرات ، بغداد ، ١٩٢٢

٦ ـ البصير ـ محمد مهدي : المختصر ، بغداد ، ١٩٢٤

٧ ـ البصري ـ مهدي السويج : الاوليات ، النجف ، ١٣٦٨هـ

٨ ـ البناء ـ عبد الرحمن : ذكرى استقلال العراق ، بغداد ، ١٩٢٧

٩ ـ البياتي ـ عبد الوهاب : ملائكة وشياطين ، بغداد ، ١٩٥٠

١٠ ـ البياتي ـ عبد الوهاب : أباريق مهشمة ، بيروت ، ١٩٥٤

١١ ـ الجواهري ـ محمد مهدي : ديوان الجواهري ، بغداد ، ١٩٢٨

١٢ ـ الجواهري ـ محمد مهدي : ديوان الجواهري ، بغداد ، ١٩٣٥

١٣ ـ الجواهري ـ محمد مهدي : ديوان الجواهري (ظهر منه ثلاثة اجزاء) بغداد ١٩٤٩ ـ ١٩٥٣

١٤ ـ جميل ـ حافظ : الجميليات ، بغداد ، ١٩٢٤

١٥ ـ الحبوبي ـ محمود : ديوان الحبوبي ، النجف ، ١٩٤٧

١٦ ـ الحبوبي ـ محمود : رباعيات الحبوبي ، النجف ، ١٩٥١

١٧ ـ الحيدري ـ بلند : اغاني المدنية الميتة ، بغداد ، ؟

١٨ ـ الحيدري ـ بلند : خفقة الطين ، بغداد ، ١٩٤٥

١٩ ـ الحيدرى ـ طالب : الوان شتى ، بغداد ، ١٩٤٩

٢٠ ـ الحيدرى ـ طالب : رباعيات الحيدرى ، بغداد ، ١٩٥٢

٢١ ـ الحيدرى ـ صفاء : اوكار الليل ، بغداد ، ١٩٤٩

٢٢ ـ الحيدرى ـ صفاء : عبث ، بغداد ، ١٩٥٠

٢٣ ـ الحوت ـ محمود : المهزلة العربية (ملحمة شعرية) بغداد ، ١٩٥١

٢٤ ـ خليل ـ انور : من اصداء المعترك ، بغداد ، ١٩٥٢

٢٥ ـ الداودى ـ خلف شوقي : سعد زغلول في العراق (مجموعة مراث) ، بغداد ، ١٩٢٧

٢٦ ـ الراضي ـ عبد الحميد : ثورة العراق الكبرى (ملحمة شعرية) بغداد ، ١٩٣٨

٢٧ ـ الراوى ـ عدنان : هذا الوطن ، بغداد ، ١٩٤٧

٢٨ ـ الراوى ـ عدنان : من العراق ، بيروت ، ١٩٤٩

٢٩ ـ الراوى ـ عدنان : النشيد الاحمر (ملحمة شعرية) بغداد ، ١٩٥١

٣٠ ـ الرابطة الادبية ـ جمعية : الفلسطينيات (مجموعة قصائد) النجف ، ١٩٣٩

٣١ ـ الرجبى ـ عبد الجبار : فيصل ملك العرب (مجموعة مراث لجماعة من الشعراء) دمشق ، ١٩٣٣

٣٢ ـ الرصافي ـ معروف : ديوان الرصافي ، مصر ، ١٩٥٣

٣٣ ـ الرصافي ـ معروف : تمائم التربية والتعليم ، بغداد ، ١٩٥٠

٣٤ ـ الزهاوى ـ جميل صدقي : الكلم المنظوم ، بيروت ، ١٩٠٨

٣٥ ـ الزهاوى ـ جميل صدقي : رباعيات الزهاوى ، بيروت ، ١٩٢٣

٣٦ ـ الزهاوى ـ جميل صدقي : ديوان الزهاوى ، مصر ، ١٩٢٤

٣٧ ـ الزهاوى ـ جميل صدقي : اللباب ، بغداد ، ١٩٢٨

٣٨ ـ الزهاوى ـ جميل صدقي : الاوشال ، بغداد ، ١٩٣٤

٣٩ ـ الزهاوى ـ جميل صدقي : الثمالة ، بغداد ، ١٩٣٩

٤٠ ـ الزين ـ الشيخ احمد عارف واخرون : العراقيات (مجموعة قصائد) صيدا ، ١٣٣١هـ
٤١ ـ السماوى ـ كاظم : اغاني القافلة ، بيروت ، ١٩٥١
٤٢ ـ السماوى ـ كاظم : الحرب والسلم (ملحمة شعرية) بيروت ، ١٩٥٣
٤٣ ـ سماكه ـ محمد باقر : نسمات الفيحاء ، بغداد ، ١٩٤٠
٤٤ ـ السياب ـ بدر شاكر : ازهار ذابلة ، بغداد ، ١٩٤٨
٤٥ ـ السياب ـ بدر شاكر : اساطير ، النجف ، ١٩٥٠
٤٦ ـ السياب ـ بدر شاكر : زئير العاصفة ، بغداد ، ١٩٥٤
٤٧ ـ السياب ـ بدر شاكر : حفار القبور ، بغداد ، ١٩٥٢
٤٨ ـ السياب ـ بدر شاكر : المومس العمياء ، بغداد ، ١٩٥٣
٤٩ ـ الشباب القومي : روائع مختارة من الشعر القومي ، ؟ ، ؟
٥٠ ـ الشبيبي ـ الشيخ محمد رضا : ديوان الشبيبي ، مصر ، ١٩٤٠
٥١ ـ الشرقي ـ الشيخ علي : عواطف وعواصف ، بغداد ، ١٩٥٣
٥٢ ـ الشواف ـ خالد : شمسو (مسرحية شعرية) بغداد ، ١٩٥٣
٥٣ ـ الصبيحي ـ عبد الواحد : شاطئ الابد : بغداد ، ١٩٥٢
٥٤ ـ الطائي ـ خضر : قيس لبنى (مسرحية شعرية) : بغداد ، ١٩٣٤
٥٥ ـ طاقة ـ شاذل : المساء الاخير : الموصل ، ١٩٥٠
٥٦ ـ طعمه ـ صالح جواد : ظلال الغيوم : بغداد ، ١٩٥٠
٥٧ ـ طعمه ـ صالح جواد : الربيع المحتضر : بغداد ، ١٩٥٢
٥٨ ـ الظريفي ـ حسين علي : الوطن (مسرحية شعرية في فصل واحد) : بغداد ، ١٩٥٠
٥٩ ـ عبد اللطيف ـ نعمان ثابت : شقائق النعمان : بغداد ، ١٩٣٧
٦٠ ـ عوبديا ـ ابراهيم يعقوب : في سكون الليل : مصر ، ١٩٤٧
٦١ ـ عوبديا ـ ابراهيم يعقوب : وابل وطل : بغداد ، ١٩٤٦

٦٢ ـ فاضل ـ اكرم : الكوميديا البشرية : بغداد ، ١٩٤٨
٦٣ ـ القريني ـ عبد الله : ديوان القريني : ؟
٦٤ ـ قصير ـ يوسف امين : في اعاصير الشباب : الموصل ، ١٩٤٨
٦٥ ـ الكاظمي ـ عبد المحسن : ديوان الكاظمي : دمشق ، ١٩٤٠
٦٦ ـ الكرخي ـ الملاعبود : ديوان الكرخي : بغداد ، ١٩٣٣
٦٧ ـ الكنعاني ـ نعمان ماهر : المعازف : بغداد ، ١٩٥٢
٦٨ ـ المحروق ـ محمود فتحي : قيثارة الريح : الموصل ، ١٩٥٤
٦٩ ـ مردان ـ حسين : قصائد عارية : بغداد ، ١٩٤٩
٧٠ ـ مردان ـ حسين : اللحن الاسود : بغداد ، ١٩٥٠
٧١ ـ الملائكة ـ نازك : عاشقة الليل : بغداد ، ١٩٤٧
٧٢ ـ الملائكة ـ نازك : شظايا ورماد : بغداد ، ١٩٤٩
٧٣ ـ الناصري ـ عبد القادررشيد : صوت فلسطين : بغداد ، ١٩٤٨
٧٤ ـ الناصري ـ عبد القادر رشيد : الحان الالم : بغداد ، ١٩٣٦
٧٥ ـ النقدي ـ محمد : الاشباح الظالمة : بغداد ، ١٩٥١
٧٦ ـ النقدي ـ موسى : اجنحة النور : بغداد ، ١٩٥٢
٧٧ ـ النجفي ـ احمد الصافي : الامواج : بيروت ، ١٩٣٢
٧٨ ـ النجفي ـ احمد الصافي : التيار : دمشق ، ١٩٤٦
٧٩ ـ النجفي ـ احمد الصافي : الحان اللهيب : دمشق ، ؟
٨٠ ـ النجفي ـ احمد الصافي : شرر : بيروت ، ١٩٥٢
٨١ ـ النجفي ـ احمد الصافي : الاغوار : بيروت ، ١٩٤٤
٨٢ ـ النجفي ـ احمد الصافي : حصاد السجن : بيروت ، ١٩٥٣
٨٣ ـ الهاشمي ـ محمد : عبرات الغريب : دمشق ، ١٩٢١
٨٤ ـ الوتري ـ اكرم : الوتر الجاحد : بغداد ، ١٩٥٠
٨٥ ـ يوسف ـ سعدي : القرصان (ملحمة شعرية) : بغداد ، ١٩٥٢

الكتب العربية

٨٦ ـ بطي ـ رفائيل : الادب العصري في العراق العربي، بغداد ، ٢، ١٩

٨٧ ـ بطي ـ رفائيل : سحر الشعر : بغداد ، ١٩٢٢

٨٨ ـ البدري ـ سعيد : آراء الرصافي في السياسة والدين والاجتماع : بغداد (مطبعة المعارف) ، ؟

٨٩ ـ الخاني ـ ناصر : نقد وادب : بغداد ، ١٩٥١

٩٠ ـ الخاني ـ ناصر : محاضرات عن جميل صدقي الزهاوي : مصر ، ١٩٥٤

٩١ ـ الحسني ـ عبد الرزاق : تاريخ الوزارات العراقية (ظهر منه ستة اجزاء) : صيدا ، ٣٣ ـ ١٩٥٣

٩٢ ـ الحسني ـ عبد الرزاق : تاريخ العراق السياسي الحديث : صيدا ، ١٩٤٨

٩٣ ـ حداد ـ كمال عثمان : حركة رشيد عالي الكيلاني : صيدا ، ١٩٤٩

٩٤ ـ الحوماني ـ محمد علي : بين النهرين ، دجلة والفرات : بيروت ، ١٩٤٦

٩٥ ـ الخاقاني ـ علي : شعراء الحلة او البابليات (خمسة اجزاء) : النجف ، ١٩٥٢

٩٦ ـ الخاقاني ـ علي : شعراء الغري او النجفيات (ظهر منه جزآن) : النجف ، ١٩٥٤

٩٧ ـ الريحاني ـ امين : فيصل الاول : بيروت ، ١٩٣٤

٩٨ ـ الريحاني ـ امين : قلب العراق : بيروت ، ١٩٣٥

٩٩ ـ السحرتي ـ عبد اللطيف : الشعر المعاصر على ضوء النقد الحديث : مصر ، ١٩٤٨

١٠٠ ـ الرشودى ـ عبد الحميد : ذكرى الرصافي : بغداد ، ١٩٥٠

١٠١ ـ شرف الدين ـ صدر الدين : سحابة بورتسموث : بيروت ، ١٩٤٨

١٠٢ ـ ضيف ـ شوقي : دراسات في الشعر العربي المعاصر : مصر ، ١٩٥٣

١٠٣ ـ طبانة ـ بدوى احمد : معروف الرصافي : مصر ، ١٩٤٧

١٠٤ ـ طبانة ـ بدوى احمد : ادب المرأة العراقية : مصر ، ١٩٤٨

١٠٥ ـ علي ـ مصطفى : الرصافي (ظهر الجزء الاول منه) : بغداد ، ١٩٤٨

١٠٦ ـ العبيدى ـ مهدى : حقيقة الزهاوى : بغداد ، ١٩٤٧

١٠٧ ـ فرح ـ جورج : اسرار السياسة الدولية في الشرق الاوسط : بيروت ، ١٩٥٢

١٠٨ ـ المدرس ـ فهمي : مقالات سياسية تاريخية اجتماعية : بغداد ، ١٩٣١

١٠٩ ـ المقدسي ـ انيس : الاتجاهات الادبية في العالم العربي الحديث (جزآن) : بيروت ، ١٩٥٣

١١٠ ـ ميور ـ توماس : النتائج السياسية للحرب العظمى (الترجمة العربية) : مصر ، ١٩٣٦

المجــــلات

١١١ ـ الاعتدال : محمد على البلاغي : النجف

١١٢ ـ ابو لو : احمد زكي ابو شادى : مصر

١١٣ ـ البيان : على الخاقاني : النجف

١١٤ ـ الثقافة : لجنة الترجمة والتأليف والنشر : مصر
١١٥ ـ الثقافة الجديدة : عبد الرزاق الشيخلى : بغداد
١١٦ ـ الحرية : رفائيل بطى : بغداد
١١٧ ـ الحديث : سامي الكيالي : حلب
١١٨ ـ العرفان : احمد عارف الزين : صيدا
١١٩ ـ الغرى : شيخ العراقين آل كاشف الغطاء : النجف
١٢٠ ـ القلم الجديد : عيسى الناعورى : الاردن
١٢١ ـ الطليعة : رجا حوراني : دمشق
١٢٢ ـ الكاتب المصرى : طه حسين : مصر
١٢٣ ـ الكتاب : عادل الغضبان : مصر
١٢٤ ـ المشرق : لويس شيخو : بيروت
١٢٥ ـ المجلة : ذنون ايوب : بغداد
١٢٦ ـ مجلة دار المعلمين العالية : دار المعلمين العالية : بغداد
١٢٧ ـ المكشوف : فؤاد حبيش : بيروت
١٢٨ ـ الهاتف : جعفر الخليلي : النجف

الجرائد

١٢٩ ـ الاخبار : جبران ملكون : بغداد
١٣٠ ـ الاستقلال : عبد الغفور البدرى : بغداد
١٣١ ـ الانقلاب : محمد مهدى الجواهرى : بغداد
١٣٢ ـ البلاد : رفائيل بطى : بغداد
١٣٣ ـ دجلة : رشيد الهاشمي : بغداد
١٣٤ ـ الدفاع : صادق البصام : بغداد

١٣٥ ـ الزمان : توفيق السمعاني : بغداد
١٣٦ ـ الشرق : حسين افنان : بغداد
١٣٧ ـ لواء الاستقلال : حزب الاستقلال : بغداد
١٣٨ ـ المفيد : ابراهيم حلمي العمر : بغداد
١٣٩ ـ العراق : رزوق غنام : بغداد
١٤٠ ـ العالم العربي : سليم حسون : بغداد
١٤١ ـ الكرخ : عبود الكرخي : بغداد
١٤٢ ـ النضال : غربي الحاج احمد : الموصل

المجموعات الخطيـــة

١٤٣ ـ احمد الصافي النجفي
١٤٤ ـ حافظ جميل
١٤٥ حسين مردان
١٤٦ ـ خالد الشواف
١٤٧ ـ عبد الستار القرغول
١٤٨ ـ عبد الحسين الملا احمد
١٤٩ ـ عدنان الراوى
١٥٠ ـ غربى الحاج احمد
١٥١ ـ كاظم جواد
١٥٢ ـ ناجى القشطينى

المصادر الاجنبيـــة

١٥٣ - Arbery, Arthur John: Modern Arabic Poetry (London 1950)

١٥٤ - Brocklemann, Carl: Geschichte der Arabischen Literature, 2 v. (Leiden, Brill 1943-49), Supplemented 3 v. (Leiden, Brill 1937-42)

١٥٥ - Churchill, Winston: The Second World War (London 1950)

١٥٦ - Ireland, Phillips Willard: Iraq, A Study of Political Development (London, 1937)

١٥٧ - Khadduri, Majid: Independent Iraq (London, 1951)

١٥٨ - Krachovesky, Ignaz: Jamil Sidqi az-Zahawi, als Baghdad (1905-1935)

١٥٩ - Longrigg, Stephen H.: Iraq, 1900 to 1950 (London, 1953)

١٦٠ - Nickolson, Reynold A.: A Literary History of the Arabs (Cambridge, 1930)

١٦١ - Paiforce: The Official Story of Persia and Iraq Command; His Majesty's Stationary Office (London, 1941-46)

١٦٢ - Shorer, Mark and Others: Criticism (N.Y., 1948)

الفهرس

الشعر السياسي في العراق الحديث

الخلاصـــــــة

بحثت موضوع الشعر السياسي في العراق الحديث ، في مرحلة مداها ثلاثة وعشرون عاما تبدأ من سنة ١٩٢٠ ، حيث اقيمت اول حكومة وطنية ، نادت بفيصل الاول ملكا علـى العراق وتنتهي هذه الفترة في سنة ١٩٥٣ حيث انتقلت السلطات الدستورية الى الملك فيصل الثاني بعد ان كان تحت الوصاية .

وقد ذكرت في المقدمة الاسباب التي دعتني لمعالجة هذا الموضوع ،واهمها انه اصاب من الاتساع والتجديد ما لم يصبه غيره من فنون الشعر ، اذ طغى عليها جميعا تحت تاثير المفاهيم السياسية الحديثة ، واتساع نطاق واجبات الدولة ووظائفها .

وتعرضت للصعوبات التي تجابه الباحث في هذا الموضوع ومنها ١ـ صعوبـــة تجرده عن الفترة التي يعايشها من حياة امته ب ـ النقص في مجموعات الصحف ، حـ ـ وعدم وجود فهارس لها ٤ـ ان كثيرا من الشعر لما ينشر بعد .

وذكرت العوامل التي ادت الى نهضة الشعر السياسي وهي = ١ ـ الاحزاب ، والجمعيات السياسية بما كان يلقى في حفلاتها ومهرجاناتها من قصائد سياسيـــــة ، ب ـ الصحف ٣ ـ التيارات الفكرية الخارجية ٤ ـ الوعي العام .

وقمت بتقسيم البحث الى اربع فترات ١ ـ فترة الانتداب ٢ ـ بدايـــــة الاستقلال ٣ ـ الحرب العالمية الثانية ٤ ـ بعد الحرب .

وكانت اهم الاحداث التي وقعت في فترة الانتداب تبوء فيصل الاول العرش ، وقد ادار الشعراء قصائدهم على المعاني التالية =

١ ـ اتصاله مع الرسول رابطة النسب ب ـ تحليه بصفات الحكمة والقيادة ، حـ ـ ثقة الشعب به ، د ـ ثقة الحكومة هـ ـ ثقة الاحلاف و ـ الامال في اعادة بغداد الى عهدها الزاهر ى ـ الاماني المتعلقة باستقلال البلاد وتحريرها مـــن الحكم الاجنبي .

ولئن كانت هذه المعاني معظمها جديد في الشعر السياسي ، فان الخصائص الفنية ، لم يطرأ عليها من التجديد الا شيء يسير .

وفي هذه الفترة قام اول برلمان عرفه العراق في تاريخه ، وقد اطلق علـــى

اولى دوراته " المجلس التاسيسي " وقد وقف منه معظم الشعراء بين مؤيد ومعارض وادارو معانيهم على ١ ــ انه من مظاهر الاستقلال التام ب ــ حمايته للحرية وصيانته لحقوق الشعب حـ ــ ان افراده عليهم ان يتصفوا بالعلم والعدالة والشجاعة ليتسنى لهم المحافظة على حقوق الشعب .

اما المعارضون فقد كانت قصائدهم تتجه الى التنديد به ، واتهامه ١ ــ بانه اصبح اداة بيد الحكومة لارضاء المحسوبين واسكات المعارضين ب ــ وان اعضاءه جلهم من شيوخ القبائل والجهال الذين لا تهمهم مصلحة البلاد بمقدار ما تهمهم مصالحهم الخاصة حـ ــ وانهم يستمدون سندهم من النفوذ الاجنبي لا من الشعب الذى يمثلونه هـ ــ وانهم قد اهملوا القضايا الكبرى واشغلوا انفسهم بالقضايا الصغيرة مما جرّ الويلات على البلاد و ــ وانهم اتخذوا من قاعة البرلمان مقهى يقتلون فيه اوقاتهم في التدخين والتسلية .

اما المعاهدات فقد رای فيها الشعراء انها ١ ــ قيود للشعب والوطن ، ب ــ انها صفقة عقدت بين الذئب والحمل حـ ــ انها من ادوية الغرب التي لم تنجح في علاج الامراض التي تعانيها الدولة هـ ــ انها لم تحقق آمال الوطن ، بل اضاعت تلك الامال و ــ ان الاستقلال الذى تنص عليه انما هو استقلال مزيف ز ــ انها تنطوى على التمويه والتضليل من جانب بريطانيا ، بما تتعمده فيها من غموض وابهام ح ــ الدعوة الى تمزيقها بالقوة . اما المؤيدون لتلك المعاهدات فقد راوا فيها تحقيقا لاماني البلاد ، واعترافا باستقلالها ، وزوال النفوذ الاجنبي عنها .

اما النفوذ الاجنبي ، فان المعاني التي دارت حوله في قصائد الشعراء تتلخص في ١ ــ ان الحكم الوطني مظهر لحقيقة اجنبية ب ــ ان الوزارات تقوم بمشيئة الانجليز ، جـ ــ ان فقدان العدالة يرجع في اصله الى ذلك النفوذ الاجنبي هـ ــ وان رجال الحكم لا يعملونه الا بوحي من ذلك الحكم و ــ وان حقوق الشعب مهدورة بسببه ز ــ وان الحاكمين معظمهم ليسوا من ابناء البلاد انما هم من الدخلاء ح ــ وان المستشارين الاجانب هم

الذين يملون ارادتهم على الحاكمين ط ــ وان هذا النفوذ هو الذى ادى الى السيطرة على النفط لمصلحة المستثمرين ، وانطبرت الدعوة في ذلك الى الثورة من اجل ان تحصل البلاد على حقوقها منهم . ى ــ وان الثقافة قد استخدمت لتثبيت هذا النفوذ .

الخصائص الفنيــــة =

ان المعاني التي طرقها الشعراء في قصائدهم خلال هذه الفترة ، انطوت على افكار جديدة لم يالفها الشعر العربي من قبل ، اما الخصائص الفنية ، فليس فيها ثمة من جديد ، انما هي امتداد لتلك الخصائص التي ظهرت في الشعر العراقي خلال العصر العثماني ، وتتسم تلك القصائد على الاجمال ، بالبساطة والوضوح ، وبالقاء الحقائق دون الاتجاه نحو التامل الذاتي ، او سبر اغوار النفس لابراز مـــا تطويه من عواطف وانفعالات .

بداية الاستقلال = وقد راى الشعراء ١ ــ ان فترة الحكم الوطني لم تحقق ما علق عليها من آمال ب ــ وانها لا توحي بمستقبل يبشر بالخيــــر للوطن ج ــ واشتدت الحملة على الفئة الحاكمة د ــ وانطوت تلك الحلة علـــى الدعوة الى الثورة وتغيير النظم القائمة .

وفي هذه الفترة توفي الملك فيصل الاول ، ورثي بعدد وافر من القصائد دارت على ١ ــ انه كان معقد امل البلاد ورجائها ب ــ وان البلاد العربية باجمعها كانت تعلق امالها عليه ج ــ وان ما يتمتع به من صفات عالية ، قد ادت الـــى خسران قائد عظيم كان في مقدوره ان يسير بالبلاد الى الامام .

ومثل هذه المعاني ادارها الشعراء بمناسبة وفاة الملك غازى .

وفي انقلاب بكر صدقي وقف الشعراء بين مؤيد للحركة يرى فيها مصلحـــة البلاد ، وانها وليدة الاوضاع السيئة ، وذهب فريق الى شجبها والتنديد بها .

وفي هذه الفترة قويت النزعة القومية ، فقام الشعراء يدعون الى ١ـ نبذ الخلافات الدينية ، والتمسك بالوحدة القومية ب ـ استخدام القوة لتحقيق الاماني القومية جـ ـ الامال المشتركة للعالم العربي د ـ المصائب التي نزلت بالاقطار العربية المختلفة ، واتخاذها وسيلة لبعث الاحساس والعزة القومية في النفوس .

الخصائص الفنية للشعر في هذه الفترة = ان التطورات الفنية في الشعر السياسي خلال هذه الفترة ، كانت ضعيفة الاثر ، ويمكن القول انها امتداد لما قبلها ، باستثناء بعض المحاولات ، التي لم تترك آثارا فنية ظاهرة في الشعر ، بل كانت على نطاق محدود ، وعلة هذا الركود ، انه لم يطرأ تحول اساسي في الحياة السياسية او الفكرية والاجتماعية ، بل استمرت هذه كلها على ما كانت عليه من قبل .

الحرب العالمية الثانية = ان للحرب آثارا واضحة في الشعر لدى معظم الامم وفي مختلف العصور ، وابرز تلك الاثار ما نقرأه اليوم من ملاحم شعرية تتصل اتصالا وثيقا بالناحية السياسية ، وفي عصرنا الحاضر اصبحت الحرب من اعظم بواحث الشعر السياسي ، لانها اخر الحلول التي يلجأ اليها ساسة الامم وقادتها .

وقد اتجه الشعراء الى ـ ١ ـ الدعوة الانسانية ب ـ ومن ضمنها الدعوة الى تحرير الوطن من الغاصبين جـ ـ وان الغربيين هم المسوءلون عن اثارة هذه الحرب د ـ وان الاحرار قد اضطهدوا بسبب ظروف الحرب هـ ـ وصف كوارث الحرب وويلاتها و ـ الامال المعلقة على نهاية الحرب ، من سلام بين الامم ومساواة في الحقوق .

وفي المرحلة الثانية من الحرب وقف الشعراء ١ـ يوءيدون وطنهم ب ـ ويسخرونه بالعدو جـ ـ ويدون الى اغتنام الفرصة د ـ ويذكرون الحلفاء بعهودهم التي نقضوها هـ ـ ويذكرون الامة بماضيها المجيد و ـ ينعون على الانجليز فظائعهم ز ـ ويصورون المستقبل الذى سوف يتحقق فيه الاستقلال التام للبلاد .

وقام فريق من الشعراء ١ ـ يندد ون بحركة ايار ب ـ ويصفون ما جرّته على البلاد من ويلات ومصائب جـ ـ ولغوا على القائمين بها حملتهم وطيشهم .

وفي المرحلة الثالثة ، قويت النزعة الانسانية واتجه الشعراء الى وصف ١ ـ اثار التدمير التي احدثتها القنبلة الذرية ب ـ الضائقة الاقتصادية ، وما يعانيه الفقراء من فقر وحرمان ج ـ وصف السجون التي اطبقت على فريق من الناس بسبب الحرب وانهم يستعذبون عذابها في سبيل الوطن ومصلحة البلاد د ـ وصف الحوادث التي تنزل بالناس في الميادين الحربية وغيرها هـ ـ تسفيه قادة الامم الذين ساقوا العالم الى هذه الكارثة و ـ الامال المنعقدة على موءتمر السلام في (سن فرنسسكو)

الخصائص الفنية ـ في هذه الفترة اتسعت المعاني التي ادار الشعراء عليها قصائدهم ، كما حدثت تطورات ملموسة في الاتجاهات الفنية ، فقد قامت بعض المحاولات لاطلاق الشعر من قيوده ، كما ان الرمزية اخذت تظهر في الشعر السياسي ، واصبحنا نلمس ميلا لدى الشعراء لنظم القصائد الطوال ، في وصف الاحداث السياسية والاوضاع الاجتماعية التي تمسّ السياسة .

بعد الحرب = في هذه المرحلة ظهرت اثار الحرب واضحة في الشعر السياسي ، لزوال الظروف التي لابست الحرب ، والتي كانت العامل الاساسي في عدم ظهورها واضحة في تلك الفترة فقد استشرت الرمزية في الشعر السياسي ، واتجه هذا اللون من الشعر الى ١ ـ تصوير المستقبل الذى سيعم فيه السلام وتزول الحرب ب ـ والتنديد بمثيرى الحرب ج ـ ووصف الدوافع التي تدفع هوءلاء الى اثارتها د ـ وعرض صور لفواجع الحرب ومآسيها .

وفي هذه الفترة عاد موضوع المعاهدات يثير الحماسة في نفوس الشعراء ، فطفقوا يوجهون التهم التي وجهت اليها من قبل ، ويصفون الاحداث التي لابستها واشتد النقد الى الفئة الحاكمة ، وقد انطوى ذلك النقد الى الدعوة الى الثورة وتحطيم النظم القائمة .

اما قضية فلسطين ، فقد تركت في الشعر اثارا واضحة ، وكانت لجهة الشعراء معتدلة في المرحلة الاولى ، ثم لم يلبث ذلك الاعتدال ان تحول الى تهديد ووعيد وسخرية بالعدو ، وحين وقعت الكارثة ادار الشعراء قصائدهم على المعاني

التالية ١ ــ السخرية بالحكومات العربية لاضاعتها الوقت في اعمال لا تجدى ب ــ السخرية بالجامعة العربية التي لم تستطع انقاذ فلسطين من محنتها ج ــ ان الهدنة كانت الخطوة الاولى لاضاعة حقوق العرب د ــ ان الحكومات العربية كانت تواكب التيار الانجليزى الاميركي هـ ــ كما اخذ الشعراء يصفون مآسي اللاجئين وما يقاسونه من عذاب وحرمان .

وكانت خاتمة الاحداث تسلم الملك فيصل الثاني سلطاته الدستورية ، فكانت المعاني التي ضمنها الشعراء قصائدهم هي ١ــ انه معقد آمال الوطن ب ــ الاشادة بامجاده الماضية ج ــ ان الشعب يرعاه بعواطفه ويحوطه برعايته .

وفي خاتمة البحث اجملنا التطورات التي طرأت على الشعر السياسي ، من حيث الفكرة او الفن ، اما النزعات الفكرية التي طرأت عليه او اتخذت اتجاها جديدا فهي =

١ ــ النزعة الوطنية
٢ ــ النزعة القومية
٣ ــ النزعة الانسانية

اما الاتجاهات الفنية التي ظهرت فيه فهي =

١ ــ الرمزية
٢ ــ الملاحم
٣ ــ المسرحيات
٤ ــ التجديد في الاوزان والقوافي